السنة الثالثة والثمانون

فيها كانت وَقْعةُ دَير الجَماجم، كان جَبَلَة بن زَحْر وكُمَيْل بن زياد على القُرَّاء، وكان الكُمَيْل له صَولةٌ في الحرب، وخرج ابن الأشعث وقد عَبَّى أصحابَه سبعَ صفوف بعضها في إثر بعض، وبعث الحجاج إلى كَتيبة ابنِ زَحْر ثلاث كتائب، عليها الجَرَّاح بن عبد الله الحَكَميّ.

ونادى عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: يا معاشر القُرَّاء، إن الفِرارَ ليس بأحد من الناس أقبح به منكم، قاتلوا هؤلاء المُحِلِّين الظالمين المبتَدِعين.

ونادى أبو البَخْتَري: أيها الناس، قاتلوا عن دينكم ودنياكم، فوالله لئن غَلبوا عليكم ليُفْسِدُنَّ عليكم دينكم، وليَغْلِبُنَّ على دُنياكم.

ونادى الشعبي: يا أهل الإسلام[1]: قاتلوا أهلَ العُدوان، ولا تأخُذْكم فيهم لَومةُ لائم، فوالله ما أعلم على بَسيط الأرض قوماً أعمَلَ بظُلمٍ ولا جَورٍ منهم.

ونادى سعيد بن جبير: قاتلوهم ولا تأثَّموا في قتالهم على جَورهم في الأحكام، وتجَبّرِهم في الدين، واستِذلالهم الضُّعفاء، وإماتتهم الصلاة، وإحيائهم البدع.

واشتدّ القتال، فحمل جَبَلَةُ بن زَحْر عليهم، وغاص فيهم فقتلوه، ولما رآه الوليد بن نجيب[2] الكلبي ـ وكان رجلاً جَسيماً، وجَبَلَةُ رَبْعة ـ فالتقاه، فضربه الوليد على رأسه، فوقع[3]، وقيل: قتله الحارث بن جَعْوَنة[4]، وقيل: لم يُعرف قاتُله، وحُزَّ رأسُه، وحُمل إلى الحجاج، فحمله على رمحين وقال:

يا أهل الشام، أبشِروا، فهذا أوَّلُ الفتح، والله ما كانت فتنةٌ قط فخَبَتْ حتى يُقتَل فيها عظيمٌ من عُظماء أهل اليمن، وهذا من عظمائهم، فسُقط في يد أصحاب جبلة،

---

(١) في (خ): الشام؟!

(٢) في الطبري ٦/ ٣٦٠ : الوليد بن نُحَيْت.

(٣) في الكلام اختصار كبير، ولعل فيه سقطاً، فقولُه: ولما رآن الوليد. . . هو رواية أخرى لمقتل جَبَلَة. انظر تاريخ الطبري ٦/ ٣٥٨ - ٣٦٠ .

(٤) انظر أنساب الأشراف ٦/ ٤٥٧ .

وفشل القُرّاء، ووَهَنوا وضعفوا، فصاح بهم أبو البَخْتَريّ الطائي: ويحكم، لا يُؤثّر فيكم قتلُ جبلة، إنما هو كرجلٍ منكم، أتته مَنيَّتُه لوَقْتها.

وفرح أهل الشام وقالوا: قد هلك طاغيتُهم، وقَدِم في تلك الحال بِسطام بنُ مَصْقَلَة ابن هُبَيْرة الشَّيباني، فشَجَّع الناسَ قدومُه وقالوا: هذا عِوَضُ جَبَلَة.

وكان مَقدَمُ بِسطام من الرّيّ، والتقاه قُتَيبةُ بن مُسلم في الطريق، فدعاه إلى الحجاج، ودعاه بِسطام إلى ابن الأشعث، فلم يُجِب كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه.

وجاء بِسطام إلى ابن الأشعث، فأمَّره على خيل ربيعة، ثم اقتتلوا أياماً في هذه السنة مُبارزةً وغيرها، وربما عفا بعضُهم عمَّن يَعرفه ولم يقتُلْه.

وأمر ابنُ الأشعث الكُمَيْلَ بن زياد أن يَصعد المِنبر، ويُحرِّضَ الناس على قتال الحجاج، ويَذكر مَساوئه، فخطب فقال: أيها الناس: إنكم قد غُلبتم على فيئكم وبلادكم، وحكم فيكم أهل الشام، وإنه والله لا يَنفي عنكم الظُّلمَ والعُدوان إلا التَّناصُحُ واجتماعُ الكلمة، والصَّبرُ على الضَّربِ بالسيف والطَّعنِ بالرُّمحْ، يا أهل العراق إنكم قد مُنيْتُم[1] بشَرِّ أهل بيتين في العرب: آل الحكم بن [أبي] العاص بن أمية، وآل أبي رِغال من ثَقيف، فتناصَحوا وتواسَوْا بالنفوس والأموال.

ونادى عبد الرحمن بن أبي ليلى[2]: أيُّها الناس، إني سمعتُ أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ـ رفع الله درجتَه إلى عِلِّيين، وأثابه جَزاء الشُّهداء والصِّدِّيقين ـ يقول ونحن بصفِّين نُحارب أهلَ الشام: قال رسول الله ﷺ[3]: «مَن رأى مُنكراً فأنكره بقلبه فقد سَلِم، ومَن أنكره بلسانه فقد أُجِر، وهو أفضلُ ممَّن أنكره بقلبه، ومَن أنكره بالسَّيف لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الظالمين هي السُّفلى؛ فذلك الذي نَوَّر الله قلبَه، وسلك به مَسْلَك اليقين والهُدى».

ثم حرَّض الناس على القتال، ومازال القتال يَعمل بينهم [إلى] اليوم الذي انهزم فيه ابن الأشعث.

---

(١) في (خ) و(ب): رميتم، وفي (د): رضيتم، والمثبت من (أ)، وهو موافق لما في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٥٦ وما سيرد بين معكوفين منه.

(٢) سلف أول خطبته قريباً.

(٣) كذا وقع، وهو وهم، فالكلام لعليٍّ ﷺ كما في تاريخ الطبري ٦/ ٣٥٧ وأنساب الأشراف ٦/ ٤٥٧ .

قال هشام: نزل ابن الأشعث بدير الجَماجم يوم الثلاثاء لليلةٍ مضت من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وثمانين، وهُزم يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة.

وقال الهيثم: نزلوا بدير الجماجم في سنة اثنتين وثمانين، وافترقوا عنه في سنة ثلاث وثمانين، وهو الأصح.

وقيل: أقاموا بدير الجماجم مئةَ يوم، كان بينهم فيه ثمانون وَقْعة.

وقيل: أقاموا به أربعة أشهر.

ولما كان في آخر الوقائع ظهر ابن الأشعث وكاد الحجاج أن ينهزم، وكان سُفيان ابن الأَبْرد الكَلْبي على الخيل في ميمنة الحجاج، والأَبْرَد بن قُرَّة التميميّ على ميسرة ابن الأشعث، فقاتله ساعة، فانهزم الأبرد وكان شجاعاً، وليس من عادته الهزيمة، وإنما نافق على ابن الأشعث، وأصلح حاله مع الحجاج.

ولما انهزم الأبرد انتقضت صفوف ابن الأشعث، وركب الناس بعضهم بعضاً، فصعد ابن الأشعث المنبر وجعل يصيح: إليَّ إلي يا عباد الله، أنا ابن محمد، فأتاه عبد الله بن رِزام الحارثي، فوقف عند المنبر، وجاءه عبد الله بن ذُؤاب السُّلَمي في أصحابه، فوقف قريباً منه، وجاء أهل الشام فدخلوا العسكر وكبَّروا، فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغَفَّل الأزديّ ـ وكانت مُليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن ـ فقال له: انزل فإني أخاف عليك القتلَ أو الأسْرَ، فنزل وخلَّى العسكر بما فيه، وانهزم أهل العراق لا يَلْوُون على شيء.

وجاء ابن الأشعث مع ابن جَعْدة بن هُبَيْرة في ناس من أهله، فعبروا الفرات من عند الفَلُّوجة، وهي قرية بني جَعْدَة، وجاء بِسطام بن مَصْقَلَة فقال: هل في السفينة عبد الرحمن بن محمد؟ فلم يكلّموه، فقال: [من المتقارب]

ضَـرَّمَ قـيـسٌ عـلـيَّ الـبـلا دَ حـتـى إذا اضْـطَـرَمَـتْ أجْـذَمَـا

وقال الحجاج: اتركوهم فليَتَبَدَّدوا ولا تتبعوهم، ونادى منادي الحجاج: مَن رجع فهو آمن.

ورجع محمد بن مروان إلى الموصل، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام، وخلَّيا العراق للحجاج.

وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة، وجاء الناس يبايعونه، فكان يقول للذي يبايعه: اشهَدْ على نفسك بالكفر، فإن شهد وإلا قتله، فأتاه رجل من خَثْعَم كان قد اعتزل الناس من وراء الفرات، فقال: اشهد على نفسك بالكفر، فقال: ما زلتُ معتزلاً للناس من وراء هذه النُّطْفَة، منتظراً ما يكون، حتى ظهرتَ فأتيتُك، فقال: اشهَد على نفسك بالكفر، فقال: إن كنتُ عبدتُ ربّي ثمانينَ سنة، ثم أشهد على نفسي بالكفر؛ لبئس العبدُ أنا، والله ما بقي من عُمري إلا ظِمْءُ حِمار، وإنني أنتظر الموتَ صباحاً و مساء، فأمر به فضرب عنقه[١].

وأُتي بآخر بعده فقال الحجاج: ما أظنُّه يَشهد على نفسه بالكفر، فقال: يا حجَّاج، أخادعي أنت عن نفسي، أنا أعرف بها منك، بلى، أنا أكفَرُ من فرعون وهامان، فضحك الحجاج وخلَّى سبيله، وأقام الحجاج بالكوفة.

وفيها كانت الوقعة بمَسْكِن بين الحجاج وابن الأشعث بعد الجماجم.

خرج عبد الرحمن بن الأشعث حتى قدم البصرة، واجتمع إليه فَلُّ أهل الكوفة والبصرة والأمصار، وتلاوموا على الفِرار، وبايع أكثرهم على الموت، وجاء الحجاج بجيوشه، ونزل ابن الأشعث بمَسْكِن على دُجَيل الأهواز، وخَنْدَق عليه، وبَثَق الماء من جوانبه، فلم يجعل القتال إلا من مكان واحد، فاقتتلوا خمسَ عشرة ليلة من شعبان أشدَّ القتال.

وكان على مَسالح الحجَّاج زياد بن غُنَيْم القمي[٢]، وكان شجاعاً، فقُتل، فهدَّ قتلَه الحجّاج، وأصبح الحجاج ذات ليلةٍ وقتَ السحر، فقاتلهم فظَهر عليهم، وقُتل أبو البَخْتَريّ الطّائي وابن أبي ليلى وقالا [قبل أن يُقتلا]: إن الفِرار[٣] بنا كلَّ ساعةٍ لَقَبيح.

وانهزم أصحابُ ابنِ الأشعث، فلما رأى ذلك بِسطام بن مَصْقَلَة الشَّيبانيّ؛ بايع على الموت أربعةَ آلاف من أهل الحِفاظ من أهل المِصْرَين، وكَسروا جُفونَ سيوفهم، وقال

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٦٤ـ٣٦٥. وقولُه: إلا ظِمءُ حمار؛ الظِّمْءُ، ما بين الشُّرْبين، أي لم يبق إلا اليسير، لأن الحمار قليل الصبر على الظمأ.

(٢) كذا، وفي الطبري ٦/ ٣٦٦: القيني.

(٣) في النسخ: وقال إن الفرار، والمثبت من الطبري ٦/ ٣٦٧.

لهم بسطام: لو كنا إذا فَررنا بأنفُسنامن الموت نَجونا منه لفررنا، ولكنا قد علمنا أنه نازِلٌ بنا عن قليل، فأين المَحِيد عما لابدَّ لنا منه، والله إنكم على الحق، ولو لم تكونوا عليه لكان موتٌ في عز[1]؛ خير من حياة في ذل، فحملوا فكشفوا أهلَ الشام مِراراً، فقال الحجاج: عليَّ بالرُّماة، فجاؤوا فرشقوهم مِراراً حتى قتلوا أكثرهم.

وأما ابن الأشعث فإنه مضى ومَن معه إلى سجستان، فأتبعهم الحجاج عُمارةَ بنَ تميم اللَّخمي، ومعه ابنه محمد بن الحجاج، وعُمارة هو الأمير على الجيش، فأدركوا ابنَ الأشعث بالسُّوس فقاتلوه، ثم انهزم فأتى سابور، واجتمع إليه الأكراد والفُلول، وقاتلهم عُمارة قِتالاً عظيماً وجُرح جراحات كثيرة، ثم انهزم عمارة وأصحابه، وأتى ابن الأشعث كَرْمان، وعامِلُه بها عَمرو بن لَقيط العَبْديّ، فأكرمه، وأقام له الضيافة، ثم سار في مَفازة كَرمان فإذا بقَصرٍ في المَفازة، فدخله بعضُ أصحابه، وإذا على حائطه مكتوب: [من الوافر]

أيا لَهفا ويا حزنا جميعاً ... ويا حَرَّ الفؤادِ بما لَقِينا
تركْنا الدّينَ والدُّنيا جميعاً ... وأسْلَمْنا الحَلائلَ والبَنِينا
فما كُنَّا أُناساً أهلَ دينٍ ... فنَصبِرَ في البلاء إذا ابتُلِينا
وما كنَّا أُناساً أهلَ دُنيا ... فتَمنَعَنا[2] ولو لم نَرْجُ دِينا
تَرَكْنا دُورَنا لطَغامِ عَكٍّ ... وأنباطِ القُرى والأَشْعَرِينا

والشعر لأبي جِلْدَةَ[3] اليَشْكُريّ من أبيات كتبها بعض أهل الكوفة.

ثم سار ابن الأشعث حتى أتى زَرَنْج مدينة سِجستان، وبها عاملُ ابن الأشعث عبد الله بن عامر من بني مُجاشع، فعصى عليه وأغلق الأبوابَ دونَه، فأقام أياماً رَجاء فتحها فلم تُفتح له، فسار إلى بُسْت، وعليها عاملُه عِياض بن هبان[4] السَّدُوسيّ ـ وقيل: من بكر بن وائل ـ فاستقبله وأنزله، وانتظر غَفْلَةَ أصحاب ابن الأشعث عنه وتَفَرُّقَهم، ثم وَثَب عليه فأوثقه؛ ليتَّخذَ به عند الحجاج يداً، وأغلق باب البلد.

---

(١) في النسخ: موت في غير عز، والمثبت من الطبري ٦/ ٣٦٧.

(٢) في الطبري ٦/ ٣٦٨، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٤، و«الأغاني» ١١/ ٣١٣: فنمنعها.

(٣) في النسخ: لابن خلدة، والتصويب من المصادر.

(٤) كذا في النسخ، وفي الطبري ٦/ ٣٦٩: هميان، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٤: عمرو.

وكان رُتبيل لما بلغه مَقدَم ابن الأشعث خرج بجنوده ليستقبله، فأُخبر بخبره، فجاء فأحاط ببُسْت، وأرسل إلى العامل: والله لئن آذيتَه بما يُقْذي عينَه؛ لا أبرحُ حتى آخُذَ البلد، وأقتُلَك وجميعَ من معك، وأَسبي ذَراريكم، وأقسم أموالكم، فأرسل إليه العامل يَطلب أماناً على نفسه وماله وأهل البلد، فأعطاهم وأطلق ابن الأشعث، فجاء إلى رُتبيل، فخرج فالتقاه، وأكرمه، وأحسن إليه، وسار معه إلى بلاده، فأنزله وعظَّمه، ودفع إليه الأموال والخيلَ والعبيد.

وأقبل فَلُّ ابنِ الأشعث وكانوا ستين ألفاً، فنزلوا على عبد الله بن عامر بزَرَنْج وحصروه، وكتبوا إلى ابن الأشعث: أقبلْ إلينا فنحن في ستين ألفاً، وفيهم وجوه الأشراف ممَّن لم يُعطهم الحجاجُ الأمان، فأَخبر رُتبيل فقال: أقم عندي، فأهلُ العراق غُدُر، وقد خانوك، فلم يلتفت، فسار إليهم، فحصَروا عبد الله بن عامر حتى أنزلوه، وضَربوه وعَذَّبوه، وأقبل نحوهم عُمارة بن تميم في جيش أهل الشام، فقالوا لابن الأشعث: اخرُجْ بنا عن سجستان فلنَدَعْها لعُمارة، ونأتي[1] خراسان، فقال لهم: عليها يزيد بن المُهَلَّب، وهو شابٌّ شُجاع صارم، وليس بتارك لكم سُلطانَه، ولن يَدَعَ أهلُ الشام اتِّباعكم، فأكره أن يَجتمع علينا أهلُ خراسان وأهلُ الشام، فقالوا: أهلُ خراسان منا، وهي أرض عَريضة طويلة، نسير فيها حيث شئنا؛ إلى أن يُهلك الله الحجاج أو عبد الملك، فقال لهم: فسيروا على خِيرة الله.

فساروا حتى بلغوا هَراة، وخرج عُبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ القُرشيّ في ألفين، ففارق ابنَ الأشعث، وسلك غير [طريقهم] ليلاً، فلما أصبح ابن الأشعث قام فيهم خطيباً فقال:

أما بعد، فقد جَرَّبْتُكم في مواطنَ ليس فيها مَوطنٌ إلا وأصبِر لكم فيه حتى لا يبقى فيه منكم أحد، فلما رأيتُ أنكم لا تقاتلون ولا تصبرون؛ أتيتُ مَلْجأً ومَأمَناً يُغني عند رُتْبيل، فكنتُ فيه، فجاءتني كُتبُكم أن أقبِل إلينا فقد اجتمعنا وأمرُنا واحد، ثم تتفرَّقون

(١) في (د): ولنأتي.

عليّ! اصنعوا ما بدا لكم، فإني مُنصَرِفٌ إلى صاحبي الذي أتيتُ من عنده، فمَن أحبَّ أن يَتبعني، ومن أحبَّ فلْيَذْهب حيث شاء.

وسار إلى رُتْبيل، وسارت معه طائفة، وبقي مُعظم العسكر، فبايعوا عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ومضى ابن الأشعث إلى رُتْبيل، ومضوا هم إلى خراسان، حتى انتهوا إلى هراة وبها الرّقَّاد الأزديّ[1]، فقتلوه وأقاموا. وهذه رواية[2] الكلبي.

وأما المدائني فحكى أن ابن الأشعث لما هُزم من مَسْكِن مضى إلى كابُل، وأن عبيد الله ابن عبد الرحمن بن سَمُرة أتى هَراة، فذمَّ ابن الأشعث، وعاب عليه فِراره، وأن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة أتى سِجستان، فانضمَّ إليه فَلُّ ابنِ الأشعث، فسار في عشرين ألفاً إلى هَراة، وبها الرّقَّاد بن عُبيد العَتَكيّ فقتلوه، وكان مع عبد الرحمن بن العباس من عبد القيس: عبد الله بن المنذر بن الجارود[3]، فأرسل إليه يزيدُ بن المهلَّب:

قد كان لك في البلاد متَّسَعٌ، فارتحِلْ إلى مكان ليس فيه سلطان، فإني أكره قتالَك، وإن أحببتَ أن أُمدَّك بمالٍ لسَفَرِك أمدَدْتُك.

فأرسل إلى يزيد بن المهلب: ما نزلنا هذه البلاد لمحاربةٍ ولا لمقام، ولكنا أردنا أن نَستريح ثم نَرحل، وليس لنا إلى ما عرضتَ علينا حاجة.

وانصرف رسول يزيد، وأقبل الهاشمي على جباية الخَراج، وبلغ يزيد فقال: من يريد أن يستريح ثم يرحل يجبي الخراج؟!

فجهز المفضَّلَ أخاه في أربعة آلاف، ويقال: في ستة آلاف، وسار هو في أربعة آلاف، ووزن نفسَه وعليه سلاحُه فكان أربع مئة رطل، فقال: ما أراني إلا قد ثَقُلتُ عن الحرب، فأيُّ فرسٍ يُقِلُّني؟! ثم دعا بفرسه الكامل فركبه، واستخلف على مرو خاله

(١) في الطبري ٦/ ٣٧١ : الرقاد الأزدي من العتيك، وسيرد بنسبة العَتَكيّ.

(٢) في (ب) و(خ) و(د): روايات، وانظر الطبري ٦/ ٣٧٠ـ٣٧١ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٥ .

(٣) في النسخ: وكان مع عبد الرحمن بن العباس بن عبد القيس بن عبد الرحمن المنذري الجارود، والمثبت من الطبري ٦/ ٣٧١ .

جُدَيْع بن يزيد، ومرَّ على مَرْوِ الرُّوذ، فنزل عند قبر أبيه، فأقام ثلاثاً، ثم سار إلى هَراة، وأرسل إلى عبد الرحمن بن العباس يقول: قد جَبَيْتَ وأخذتَ وأرحْتَ واسترحتَ، وإن أردتَ زيادةً زِدناك، فاخرج فوالله ما أحبُّ قتالكَ.

ودسَّ عبد الرحمن إلى جيش يزيد يدعوهم إلى نفسه، فأخبروه، فقال يزيد: جلّ الأمر عن العتاب[1]، أتغدَّى به قبل أن يتعَشَّى بي، وسار إليه، وتقاتل العسكران، ووُضع ليزيد كرسي، وتولّى الحربَ أخوه المفضَّل بن المهلَّب، واقتتلوا، وصبر عبد الرحمن ساعة ثم انكشفوا، فقال يزيد: لا تَتبعوهم، وأخذ ما كان في عسكرهم، وأَسَروا منهم أُسارى.

وأمر يزيد عطاءَ بنَ أبي السَّائب بأن يتولّى أمرَ العسكر وإحصاءَ ما فيه، وكان في الأسرى: محمد بن سعد بن أبي وقاص، وموسى بن عُبيد الله بن مَعْمر التَّيمي، وعيَّاش بن الأسود بن عَوف الزُّهري، والهِلْقام بن نُعيم، وعبد الله بن فضالة الزهراني، والقعقاع بن مَعْبَد بن زُرارة[2]، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف، في آخرين. فسأله محمد بن سعد وقال: يا يزيد، أسألك بدعوة أبي لأبيك، فأطلقه، والأصح أن الحجاج قتله، وأطلق عبد الرحمن بن طلحة وعبد الله بن فضالة، وبعث بالباقين مع سَمُرة بن مِخْنَف بن المهلَّب[3] إلى الحجاج، ثم عاد يزيد إلى مَرْو، ومضى عبد الرحمن بن العباس إلى السِّند.

وقال مَعْمَر[4]: إن يزيد لما أراد أن يَبعث الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حَبيب: بأيِّ وجه تَنظر إلى اليَمانية وقد بعثتَ ابنَ طلحة؟! فقال يزيد: هو الحجاج! فقال: وَطِّن

(١) في النسخ: القتال، والتصويب من تاريخ الطبري ٦/ ٣٧٢.

(٢) في (د) زيادة: وعبد الرحمن بن زرارة، هذا والنص في الطبري ٦/ ٣٧٣، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٦: وكان في الأسرى: محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وعياش بن الأسود بن عوف الزهري، والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة، وعبد الرحمن بن طلحة، وعبد الله بن فضالة الزهراني.

(٣) في الطبري ٦/ ٣٧٣: سبرة بن نخف بن أبي صفرة.

(٤) هو ابن المثنى أبو عبيدة، والخبر في الطبري ٦/ ٣٧٩.

نفسَك على العَزْل ولا تَبعث به، فإن له عندنا يَداً، قال: وما يَدُه؟ قال: لَزم المهلَّبَ مئتا ألفِ دينار، فأداها طلحة عنه، فأرسله يزيد. وفيه يقول الفرزدق: [من الكامل]

وجدَ ابنُ طلحةَ يومَ لاقى قومَه قَحطانَ يوم هَراةَ نِعمَ المَعْشَر[1]

وبلغ الحجاج ذلك، فحقد على يزيد وعزله بعد ذلك.

قال هشام: ولما قُدم بالأسرى على الحجاج قال له موسى بن عبيد الله بن معمر[2]: أصلح الله الأمير، كانت فتنةً شَمِلت البرَّ والفاجر، فدخلنا فيها، وقد أمكنك الله منا، فإن عفوتَ فبحلمِك وفَضلِك، وإن عاقبتَ عاقبتَ ظَلَمةً مُذنِبين، فقال الحجَّاج: أما قولُك: شَمِلت البرَّ والفاجر فكذبتَ، ولكنها شَمِلت الفُجَّار وعُوفي منها الأبرار، وأما اعترافُك بذَنْبِك فعسى أن يَنفعك، فرجا الناسُ له العافية.

وقُدِّم إليه الهِلْقَام بن نعيم، فقال له الحجَّاج: أخبرني، ما رَجوتَ من اتِّباعك ابنَ الأشعث، أرجوتَ أن يكون خليفة؟ قال: نعم، وطمعتُ أن يُنْزِلَني منزلتَك من عبد الملك، فغضب الحجاج وقال: اضربوا عُنقه فقُتل، ونظر إلى موسى فقال: اضربوا عُنقه. فقُتل، وقَتلَ بقيَّتَهم.

ذكر حضور الشَّعبي عند الحجّاج:

قال المدائني: ونادى الحجَّاج بعد يوم الجَماجم: مَن لَحق بقُتيبةَ بنِ مُسلم بالرّيّ فهو آمن، فلحق به ناسٌ كثير منهم عامر الشَّعبي، فذكره الحجاج يوماً وقال: أين هو؟ قالوا: عند قُتيبة، فقال لكاتبه يزيد بن أبي مُسلم: اكتب إلى قُتيبة يُسَرِّح إلينا[3] عامراً، فكتب إليه، قال الشعبي: وكنتُ صديقاً لابن أبي مسلم، فلما قدم بي على الحجاج لقيتُ ابن أبي مُسلم فقلت: أشرْ عليَّ، فقال: والله لا أدري بمَ أُشير عليك به، غير أنك اعتذِرْ ما استطعتَ، وأشار علي، أصحابي وإخواني بذلك، قال: فلما دخلتُ سلمتُ عليه وقلت: أيها الأمير، إن الناسَ أمروني أن أعتذرَ إليك بغير ما تَعلَمُ مني، وإن الله غيَّرَ ما عزمتُ

(١) في الطبري: خير المعشر.

(٢) في الطبري ٦/ ٣٧٤، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٧: عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وانظر ما سلف ص٢٩٧.

(٣) في (خ): لنا.

عليه، والله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً، والله لقد حرَّضنا وجَهِدنا عليك كلَّ الجهد، فما ألَوْنا، وما كنَّا بالأقوياء الفَجَرَة، ولا الأتقياء البَرَرَة، ولقد نَصرك الله علينا وظَفَّرك بنا، فإن سَطَوتَ فبذنوبنا، وما جَرَّت إليه أيدينا، وإن عَفوتَ فبحلمك، وبعد الحجَّة لك علينا، فقال له الحجاج: أنت والله أحبُّ قولاً إلينا ممَّن يَدخُلُ علينا يَقطُر سيفُه من دمائنا، ثم يقول: ما فعلتُ ولا شَهِدتُ، انصرف فقد أَمِنت.

فلما مشيتُ قليلاً قال: هلمَّ يا شعبيّ، فوَجِل قلبي، ثم ذكرتُ أمانَه فاطمأنَّتْ نفسي، فقال: كيف وَجَدَت الناسَ بعدنا؟ فقلت: أصلَح الله الأمير، اكتحلتُ والله بعدك[1] السَّهَر، واستوعَرْتُ الجَنَاب، واستحلستُ[2] الخوفَ، وفقدتُ صالحَ الإخوان، ولم أجد من الأمير خَلَفاً، فقال: انصرِفْ، وكان له مُكرماً.

وقال الطبري[3]: كان الشعبي ممَّن خرج على الحجاج مع القُرَّاء، وشهدَ ديرَ الجماجم، وكان ممَّن أفلتَ فاختفى زماناً، وكان يكتب إلى يزيد بن أبي مُسلم أن يُكلِّم له الحجَّاج، فأرسل إليه يزيد: إني والله ما أَقدر على ذلك، ولا أجترئُ عليه، ولكن تحيَّنْ جلوسَه للعامَّة، ثم ادخُل عليه فامثُلْ بين يديه واعتَذِرْ، واستشهِدْ بي على ما أحببتَ أشهدْ لك، ففعل الشعبيُّ، فلم يشعر الحجاج به إلا وهو قائمٌ بين يديه، فقال: أشعبيّ؟ قال: نعم أصلح الله الأمير، قال: ألم أقدَم البلدَ وعطاؤك كذا وكذا، فزدتُ في عطائك ولا يُزادُ مثلُك؟ قال: بلى، قال: ألم آمُر أن تَؤمَّ قومَك ولا يؤمُّ مثلُك؟، قال: [بلى، أصلح الله الأمير، وقال:]، ألم أُعَرِّفْك على قومك ولا يُعَرَّف مثلُك؟ قال: بلى، قال: ألم أُوفِدْك على أمير المؤمنين ولا يُوفَدُ مثلُك؟ قال: بلى، قال: فما الذي أخرجك عليَّ؟ قال: أصلح الله الأمير، خَبَطَتْنا فِتنة، فما كنا فيها بأبرار أتقياء، ولا فُجَّارٍ أقوياء، وقد كتبتُ إلى يزيد بن أبي مسلم أعلمه ندامتي[4] على ما فَرط منّي،

---

(١) في (خ): بعدكم. والخبر في الطبري ٦/ ٣٧٥.

(٢) أي: لزمتُ، ووقع في (ب): واستجللت، وفي النسخ الأخرى: استجلست. والمثبت من الطبري.

(٣) لم أقف عليه في تاريخه، وأخرجه ابن سعد ٨/ ٣٦٨، وعنه ابن عساكر ٢١٢ـ٢١٣ (عاصم ـ عائذ).

(٤) في النسخ: إنه بدا مني، والمثبت من المصدرين السالفين. وما سلف بين حاصرتين منهما.

ومَعرفتي بالحقّ الذي خرجتُ منه، وسألتُه أن يُخبر بذلك الأمير، ويأخُذَ لي منه أماناً فلم يفعل، فالتفت الحجَّاج إلى يزيد فقال: أهكذا هو؟ قال: نعم، قال: فما مَنَعك أن تُخبِرَني بكتابه؟ قال: الشُّغْلُ الذي كان فيه الأمير، فقال الحجاج: انصرف آمناً.

وقال مجالد: قال الشعبي: لما قَدِم الحجَّاجُ الكوفةَ والياً عليها عُرض عليه الناس، فكنتُ فيمن عُرض عليه، فقال: مَن أنت؟ قلتُ: عامر الشعبي، قال: اجلس، فجلستُ، فقال: أقرأتَ القرآن؟ قلت: نعم، قال: ففرضْتَ الفرائض؟ قلت: نعم، قال: أنظَرْتَ في العربية والشعر؟ قلت: نعم، قال: ففي المغازي، قلت: نعم، قال: فحدِّثْني حديثَ بَدْرٍ، فحدَّثْتُه من رُؤيا عاتكة، إلى أن أذَّن المُؤذِّنُ للظُّهر، فقام فدخل وقال: لا تبرَحْ، وخرج فصلّى الظهر وقال: تَمِّم، فأتممتُها له، فجعلني عَريفاً على الشَّعْبيين، ومَنكِباً[1] على هَمْدان، وفرض لي في الشَّرف من العطاء، فلم أزل عنده على أحسن حال حتى خرج ابن الأشعث، فأتاني قُرَّاء الكوفة وقالوا: يا عامر، إنك زعيم القراء، وأنت كذا وكذا، فلم يزالوا بي حتى أخرجوني معهم، فكنتُ أقوم بين الصفَّيْن فأذكُر الحجاج، فأَعيبُه بأشياء كنت أعرفُها فيه، وبلغ الحجاج فقال: ألا تَعجبون من هذا الخبيث؟! جاءني وهو وَضيعٌ فرفعتُه، وفعلتُ معه وفعلت، ثم خرج عليَّ ويقول ما يقول، أما والله لئن مَكَّنني الله منه لأجعلَنَّ عليه الدنيا مثلَ مَسْكِ حَمَل[2].

قال: فما لَبثنا أن هَزَمنا الله، فدخلتُ بيتي، وأغلقتُ بابي، وأقمتُ مُستخفياً تسعةَ أشهر، فكانت الدنيا عليَّ أضيَقَ من مَسْك حَمَل، ثم هربتُ إلى خُراسان وقد نادى مناديه: مَن التجأ إلى قُتيبة بن مُسلم فهو آمِنٌ، فركبتُ حماراً، وسرتُ إلى فَرْغَانة، فدخلتُ على قُتيبة فلم يعرفْني، وكنتُ أغشى مَجْلِسَه.

ثم إنه فُتح عليه فَتْحٌ فلم يَدْرِ ما يَكتب إلى الحجاج، فكلَّمني في ذلك فقلت: عندي كلّ ما تريد، فقال: مَن أنت؟ قلت: لا تسأل عن ذلك، فقال: اكتُب كتابَ الفتح لأكتُبَ منه، فقلت: لا أحتاج، اكتب وأنا أُملي، فأخذ يكتب وأنا أُملي عليه، وهو ينظر إليّ، حتى فَرَغْتُ، فحَمَلَني على بَغْلة، وأعطاني بُرْنُساً وسَرَقاً من حرير، وكنتُ عنده في أعلى منزلة.

---

(١) أي: عريفاً، ولم تجوَّد كلمة الشعبيين في النسخ، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٢٠٨ (عاصم ـ عائذ).

(٢) يعني جلد حمل. وفي (أ): جمل.

فبينا أنا عنده ذات يوم إذ جاءه كتابُ الحجَّاج يقول: صاحبُ كتابك عامر الشَّعبي، فإذا نظرتَ في كتابي فابعثْ به إليَّ؛ وإلا عَزَلْتُك وفعلتُ بك وفعلتُ، فاحذر أن يَفوتَك، فالتفت إليّ وقال: ما عَرفتُك قبل هذه الساعة، وهذا كتابُه، فاذهب حيث شئتَ من الأرض، ولأحلفنَّ له بكلِّ يمينٍ أنني ما عرفتُك قبل هذه الساعة، فقلت له: مثلُ هذا لا يَخفى، فابعث بي إليه، فقال: أنت أعلم.

ثم بعث معي جماعةً وأوصاهم بي، ثم قال: إذا وصلتُم به إلى الحجّاج فأدخلوه عليه مُقَيَّداً، ثم قال: قُل ما شِئتَ واستشْهِد بي.

فلما وصلتُ إلى باب الحجاج لَقِيَني يزيدُ بن أبي مُسلم، فقال لي: إنا لله لما بين دَفَّتَيْكَ من العلم، قلت: فاشفع لي، قال: ليس بيوم شفاعة، قلت: فخُذْ لي أماناً، قال: لا أقدر، ولكن إذا دخلتَ عليه فبُؤْ له[1] بالكُفر؛ فبالحريّ أن تَنجو، وما أُراك بنَاجٍ، ولكن استشهِدْ بي، قال: ولقيتُ محمد بن الحجَّاج فقال لي مثلَ ذلك، وأُدخِلتُ عليه فقال: هيه يا عامر، أكرمتُك، وأحسنتُ إليك؛ وتخرج علي وتقول ما قلت؟! قال: فذكرتُ له بمعنى ما تقدَّم، واستشهدتُ بيزيد بن أبي مسلم، فسأل يزيداً: أكذا؟! قال: نعم، فقال: انصرِفْ راشِداً، وأمرني بلُزوم بابه.

ذكر جماعة أُتي بهم إلى الحجاج:

منهم: عبد الرحمن بن عائذ الحمصي، أبو عبد الله، من الطبقة الثانية من التابعين، ويقال: إنه أدرك رسول الله ﷺ وروى عنه، واتّفقوا على أنه سمع من عمر، وعلي، ومعاذ، وأبي ذَرّ رضي الله عنهم، وغيرهم، وحضر خطبة عمر رضوان الله عليه بالجابية.

وكان قد خرج مع ابن الأشعث، فجيء به إلى الحجاج وكان يعرفه، فقال له: كيف أصبحتَ يا أبا عبد الله؟ فقال: كما لا يريد الله، ولا الشيطان، ولا أنا، قال: وكيف؟ قال: يريد الله أن أكون عابداً زاهداً، والله ما أنا بذاك، ويُريد الشيطان أن أكون فاسقاً وما أنا بذاك، وأُريد أن أكون آمِناً في سِرْبي وما أنا بذاك، فقال الحجاج: مَولِدُ شاميّ، وأدبٌ عراقيّ، وجارُنا إذ كنا بالطّائف، خَلُّوا عنه[2].

---

(١) في النسخ الخطية: فتولَّه، وكذا في «تاريخ دمشق» ص٢١٥، والمثبت من المصادر، والكلام فيها بنحوه. ينظر أنساب الأشراف ٦/ ٦/ ٤٧٨، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٥٩٨، والعقد الفريد ٥/ ٣٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣١٤.

(٢) «تاريخ دمشق» ٩/ ٩٨٧، ٩٩١ (مخطوط)، و«السير» ٤/ ٤٨٧ـ٤٨٩.

قوله: كما لا يريد الله: خطأ، فإنه لا يكون إلا ما يُريد الله، وربما أنه قال: كما لا يُحبّ الله، أو كما لا يُرضي الله، فحرَّفَتِ الرُّواةُ قولَه.

وجيء بجماعة من الأَسرى، فأمر الحجَّاج بقتلهم، فقال له رجلٌ منهم: أصلح الله الأمير، لي عندك حُرمة، قال: وما هي؟ قال: شُتم أبوك في عسكر ابن الأشعث فقلت: والله ما في نسبه مَطْعَن، قال: ومَن يعلم هذا؟ فالتفت إلى أقرب أسيرٍ منه فقال: هذا، فقال له الحجاج: ما تقول؟ قال: صدق، فقال: خَلُّوا عن هذا لنُصْرَتِه، وعن هذا لشهادتِه.

ولما دخل الحجَّاج البصرة بعد الجَماجم دخل عليه الحسن البصري فقال: أنتَ الذي حملتَ علينا السلاح؟ فقال الحسن: لا والله، فأخرج الحجَّاج إليه كفَّه، فمسح عليها، فقيل للحسن: لا تَأْمَنْه، فتوارى عنه تسعَ سنين؛ ينتقل من منزلٍ إلى منزل، حتى هلك الحجّاج[1].

وروى هشام: أن محمد بن سعد بن أبي وقَّاص جيء به في الأسرى، فأُوقف بين يدي الحجاج[2]، فقال له: يا ظلَّ الشيطان، أتأبى بيعةَ يزيد بن معاوية، وتتشبَّه بحُسين وابن عمر؟! يا أعظم الناس كبراً، فقال له محمد: أيُّها الرجل، مَلكْتَ فأسْجِح، فضرب عُنُقَه.

ثم دعا بموسى بن عُبيد الله بن مَعْمر، فقال: يا عبدَ المرأة، أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك، وتشرب معه الشَّراب في حمَّام فارس، وتقول المقالة التي قلتَ؟ فقال: والله لقد دَفعتُه عن عقائلِ نسائك، فضرب عُنقه[3]، وقيل: إن الذي قتله الحجاج: عمر بن موسى بن عُبيد الله بن مَعْمر[4].

وقتل الحجاج في وقعة الجَماجم أربعة آلاف من أعيان الناس، منهم: عبد الله بن شدَّاد بن الهاد، وبِسْطام بن مَصْقَلَة، وبِشْر بن المُنذر بن الجارود وغيرهم.

---

(١) «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٩٤.

(٢) في (ب) و(خ) و(د): بين يديه، والمثبت من (أ).

(٣) انظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٨٠، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٦٧ وفيهما: عمر بن موسى بن عبيد الله. وابن الحائك يعني ابن الأشعث.

(٤) وإلى هذا ذهب الطبري والبلاذري كما في التعليق السالف.

قال الطبري: وفي هذه السنة بنى الحجاج واسِطاً، وسببُه أنه ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خُراسان، فعسكروا بحمَّام أَعْيَن[١].

وكان فتًى من أهل الكوفة حديثَ عهدٍ بعُرسٍ، فكان يأتي ابنةَ عمِّه ثم يعود إلى العسكر، وكان رجل من أهل الشام يأتي إلى منزل الفتى، فيتعرَّض لامرأته كلَّ ليلةٍ، فشكت إلى ابنِ عمّها فقال: إذا جاء الليلة فأدخليه، ووقف له خلفَ الباب، فلما دخل قتلَه، وأخبر الحجاج فأهدَر دمَه وقال: لا يَنزلَنَّ أحدٌ على أحد.

ثم أمر الرُّوَّاد فارتادوا له مكانَ واسِط.

والأصح: أنه شرع فيها في سنة خمس وسبعين[٢]، وفرغ منها في سنة ثمان وسبعين.

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان والياً على المدينة.

فصل: وفيها توفي

أبو الجَوزاء

[واسمه] أوس بن خالد الرَّبَعيّ البصري، وقيل: خالد بن سُمَير[٣].

[ذكره ابن سعد] من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، [وحكى أنه] قال: صحبتُ ابنَ عباس اثنتي عشرة سنة، فما بقي في القرآن آية إلا سألتُه عنها.

[وذكر ابن سعد أن أبا الجوزاء] لم يلعن شيئاً قطُّ، ولا أكل طعاماً ملعوناً.

[قال:] وكان يقول: لأن تمتلىء داري قردةً وخنازير؛ أحبُّ إليَّ من أن أجاور رجلاً من أهل الأهواء.

---

(١) في الطبري ٦/ ٣٨٣، و«المنتظم» ٦/ ٢٤٩: بحمام عمر.

(٢) بعدها في (ص): وقد ذكرنا السبب هناك.

(٣) كذا في النسخ غير (ص)، فليس فيها هذه العبارة، وقد اختلفوا في اسم هذا الرجل على قولين: أوس بن خالد الربعي البصري، وأوس بن عبد الله، فقال بالأول ابن سعد ٩/ ٢٢٢، وابن قتيبة في «المعارف» ٤٦٩، وابن الجوزي في «الصفوة» ٣/ ٢٥٨، وقال بالثاني خليفة في طبقاته ٢٠٥، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ١٦، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٢/ ٣٠٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٧٨، والمزي في «تهذيبه» (٥٧١)، والذهبي في «السير» ٤/ ٣٧١.

وأما خالد بن سمير فهو رجل آخر، ذكره ابن سعد ٩/ ٢٢٢ قبل أبي الجوزاء، ولم يذكر له أخباراً، فلعل هذا ما أوقع المصنف أو المختصِر في الوهم، وقد ترجم له المزي (١٦٠٤).

وكان يقول: ما ماريْتُ أحداً قط، ولا كذَّبتُ أحداً قط[١].

[وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل بإسناده إلى سليمان الرَّبَعيّ قال: كان أبو الجوزاء] يواصل في الصوم بين سبعة أيام، ثم يَقبض على ذِراع الشابّ فيكادُ يَحْطِمُها[٢].

وقال ابن سعد: خرج أبو الجَوزاء مع ابن الأشعث، فقتل أيام الجَماجم، سنة ثلاثة وثمانين[٣].

وأسند عن ابن عباس وعائشة وغيرهم.

إياس بن قتادة

ابن أوفى بن عَبْشَمْس[٤] بن سعد بن زيدِ مَناة بن تميم، وأمُّه الفارِعة بنت حِمْيَريّ، من بني مُرَّة.

وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، ولأبيه قَتادة صُحبة.

وكان إياس شريفاً في قومه، اعتَمَّ وهو يُريد بِشرَ بن مروان، فنظر في المرآة، فإذا بشَيْبةٍ في ذَقنه، فقال: يا جارية، افليها، فإذا أخرى فقال: انظري مَن بالباب من قومي، فأُدخلوا عليه، فقال لهم: يا بني تَميم، إني كنتُ قد وهبتُ لكم شَبابي، فهبوا لي مَشيبي، ألا تراني حُمَيِّرَ الحاجات[٥] وهذا الموت يقرب إلي، ثم نَقض عِمامته، واعتزل يُؤَذِّن لقومه، ويعبد ربه حتى مات[٦].

قال ابن سعد: سمعتُ أنه خرج من المسجد يوم الجمعة، فقرَّبوا إليه أَتاناً له ليركَبَها، فلما اغترز في الرِّكاب نظر[٧] إلى شيبه فقال: مرحباً بك، طالما انتظرتُك، ثم انصرف فاضطجع على شِقِّه الأيمن، فمات في خلافة عبد الملك بن مروان.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٢٢٢ـ٢٢٣ ، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) «الزهد» لأحمد ٣٧١ ، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٧٩ـ٨٠ ، وما بين معكوفين من (ص).

(٣) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٢٢٣ .

(٤) في «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٢٧ ، و«أنساب الأشراف» ١١/ ٤٩٨ : بن أوفى بن موءلة بن عنبة بن ملادس بن عبشمس.

(٥) حُمَيِّر، تصغير حمار، والمعنى: امتهنوه في جليل أمرٍ ودقيقهِ، كما في جمهرة الأمثال ١/ ٣٨١ . وينظر أيضاً مجمع الأمثال ٢/ ٤٠٤ .

(٦) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٤١ ، و«المنتظم» ٦/ ٣١٢ وذكره في وفيات سنة (٩٣).

(٧) في النسخ: فنظر، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٦/ ١٤١ .

رَوْحُ بن زِنْباع

أبو زُرْعَةَ الجُذاميّ الشامي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الشام، ولم تكن له صُحبة، وكان ذا منزلة عند الناس، فخاف منه معاوية، فعزم على قتله، ففهم رَوْح فقال له: لا تَهدِم رُكناً بنيتَه، ولا تُحزِن صاحباً أنت سَرَرْتَه، ولا تُشْمِت عدواً أنت كَبَتَّه، فكفَّ عنه معاوية.

قال المصنف رحمه الله: وأحسنُ من هذا قولُ الشَّريف الرَّضِيّ: [من السريع]

لا تُعْطِشِ الزَّرْعَ الذي نَبْتُه ... بصَوْبِ إنعامِكَ قد رَوَّضا
لا تَبْرِ عُوداً أنت رَيَّشْتَهُ ... حاشا لباني المَجْدِ أن يَنْقُضا

من أبيات[1].

ولما طَلب مروان الخلافة قام رَوْح معه حتى وَليها، ثم صار خصيصاً بعبد الملك، وكان يكتب له، ويُثني عليه عبد الملك ويقول: هو عراقيُّ الخَطّ، حجازيُّ الفقه، فارسيُّ الكتابة.

أسند روح عن جماعة من الصحابة[2].

زاذان الكوفي

أبو عبد الله، مولى كِندة[3]. من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

وكان بَزَّازاً يبيع الكَرابيس. [قال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده إلى سالم بن أبي حفصة، عن زاذان أنه] كان يبيع الثياب، فإذا عرض الثوب على المُشتري ناولَه شرَّ الطَّرفَيْن، [وفي رواية] وسامَه[4] مَرَّةً واحدة.

وكان صالحاً مُجابَ الدَّعوة، [روى أبو نعيم عنه أنه] جاع يوماً فقال: يا ربِّ، إني جائع فأطعمني، فسقط عليه رَغيفٌ مثلُ الرَّحى من الرّوْزَنَة[5].

---

(١) انظر ديوانه ١/ ٥٧٥ (صادر).

(٢) «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٩٧ فما بعدها، و«المنتظم» ٦/ ٢٥١، والسير ٤/ ٢٥١.

(٣) في (ص): ومنهم زاذان الكوفي مولى كندة، وكنيته أبو عبد الله.

(٤) في (ب) و(خ) و(د): وساومه. والخبر في الحلية ٤/ ١٩٩.

(٥) «حلية الأولياء» ٤/ ١٩٩، والروزنة: الكُوَّة. وما سلف بين معكوفين من (ص).

وكان سببُ إقبالِه على الله تعالى ما قرأتُه على شيخنا الموفَّق رحمه الله في كتاب «التَّوابين» قال: مَرّ ابن مسعود بالكوفة[١]، وإذا بشباب مُجتمعين يشربون، ومعهم زاذان يَضرب بالعود، ويغنِّي بصوتٍ حَسَن، فسمعه ابن مسعود فقال: ما أحسن هذا الصَّوتَ لو كان بكتاب الله، وسمعه زاذان، فقام وضرب بالعود الأرض فكسره، ثم جعل منديله في عُنقه، وأدرك ابنَ مسعود وهو يبكي، فاعتنقه ابنُ مسعود، وجعلا يبكيان، وابن مسعود يقول: كيف لا أحبُّ مَن قد أحبَّه الله تعالى، ثم تاب وحَسُنَت توبتُه، ولزم ابنَ مسعود حتى صار إماماً في العلم[٢].

وقال أبو أحمد بن عدي: تاب زاذان على يد ابن مسعود، وسمع منه[٣].

ذكر وفاته:

قال خليفة: مات زاذان وأبو وائل في سنة اثنتين وثمانين.

وقال جدِّي في «الصَّفوة»: تُوفِّي زاذان بالكوفة أيام الحجّاج، بعد الجَماجم[٤].

أسند زاذان عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عمر، والبراء بن عازب، وسلمان الفارسي، وجرير بن عبد الله البَجَليّ، وأبي هريرة، وعائشة ﷺ في آخرين.

وقد تكلَّم فيه أبو عبد الله الحاكم فقال: زاذان ليس بالقوي عندهم.

ووثقه ابن مَعين، والنسائي، وأبو أحمد بن عدي، وابن سعد[٥].

سفيان بن وَهْب

أبو أيمن الخَولانيّ، شهد حجَّةَ الوداع مع النبي ﷺ، ووفد عليه، وله أحاديث.

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وكان سبب إقباله على الله أن ابن مسعود ﷺ مر بالكوفة، والمثبت من (ص)، وانظر الخبر في التوابين ٢١٤ـ٢١٥.

(٢) بعدها في (أ) و(ب) و(خ) و(د): ومات في سنة اثنتين وثمانين، والمثبت من (ص).

(٣) «الكامل» ١٠٩١.

(٤) «طبقات خليفة» ١٥٨، و«صفة الصفوة» ٣/ ٥٩. وانتهت ترجمة زاذان في (ص)، وفيها بعدها ترجمة أعشى همدان.

(٥) انظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٩٨، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٣١٨ وما بعدها، و«المنتظم» ٦/ ٢٥١ـ٢٥٢، و«السير» ٤/ ٢٨٠.

وقال ابن سعد: هو من ثقات التابعين[١].

وبعثه عبد العزيز بن مروان إلى إفريقية غازياً.

وقال: حضرت مع عمر بالجابية، فجاءه قوم من أهل الذِّمَّة فقالوا: يا أمير المؤمنين، قد فَرَضْتَ علينا أن نَرزُقَ المسلمين العَسَل، ولا نجده عندنا، وإن عندنا شراباً يشبه العسل، فقال: ائتوني به، فأتوه به فجعل يرفعه على إصبعه، فيمتدّ كهيئة العسل، فقال عمر: إن هذا يشبه طِلاء الإبل، فأتوه بماءٍ، فصبّ[٢] عليه وشرب منه، وسقى أصحابَه وقال: ما أطيب هذا، ارْزُقونا منه وارزقوا المسلمين منه.

عبد الله بن الحارث

ابن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو محمد الهاشمي، من الطبقة الأولى من التابعين، وأمه هند بنت أبي سفيان بن حَرْب، وهو الملقَّب: بَبَّة.

وُلد في زمن رسول الله ﷺ، فأتت به أمُّه إلى أختها أم حبيبة زوج النبي ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ عليها فقال: من هذا؟ فقالت: ابنُ عمّك وابن أختي، فتَفَل في فيه ودعا له.

وقد ذكرنا طرفاً من أخباره، ووفاته بعُمان.

وكان له من الولد: عبد الله، ومحمد، أمهما [خالدة بنت مُعَتِّب بن أبي لَهب ابن عبد المطلب، وأمُّها] عاتكة بنت أبي سفيان بن الحارث[٣].

وإسحاق، وعبيد الله وهو الأرْجُوان، والفضل، وأمّ الحَكَم ولدت لمحمد بن علي ابن عبد الله بن عباس: يحيى ومحمداً والعالية بني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

وأمّ أبيها[٤] بنت بَبَّة.

وزينب، وأم سعيد، وأم جعفر، وأمهم أم عبد الله بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٤٤ وفيه: سفيان بن وهب الخولاني، لقي عمر بن الخطاب. اهـ. ونقله عنه ابن عساكر ٦/ ٣٨٥ (مخطوط)، ولم أقف على كلام ابن سعد الذي نقله المصنف.

(٢) في (أ): فيريقه على إصبعه... فصبه، والخبر في «تاريخ دمشق» ٦/ ٣٨٤.

(٣) ما بين معكوفين من و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٨، وجاء في نسب قريش ص٨٦ - ٨٧ أن أمّ محمد هي هند بنت خالد بن حِزام.

(٤) في النسخ: وأم أمها، والمثبت من «طبقات ابن سعد».

وعبد الرحمن، وأمُّه بنت محمد بن صَيفيّ المخزومي.

وكان لبَبَّة ضُرَيْبة، وأم عَون[١]، وهند، وعون، لأمَّهات أولاد شتّى[٢].

أسند بَبَّة عن عمر، وعثمان، وأُبيّ بن كعب، بن زيد، والمغيرة بن شُعبة، وصفوان ابن أمية، وميمونة زوج النبي ﷺ، وعن كعب الأحبار، فأرسل الحديثَ عن رسول الله ﷺ وله إدراك.

وكان ثقةً قليلَ الحديث، وروى عنه ابناه إسحاق وعبد الله، وسليمان بن يسار، وعبد الحميد[٣]، وعبد الملك بن عمير، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو إسحاق السَّبيعي، وعمر بن عبد العزيز، في خلق.

وكان من أفاضل المسلمين، شهد مع عمر رضوان الله عليه الجابية، وسمع خطبته قال: فقال عمر فيها: مَن يَهدِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل فلا هاديَ له، وكان هناك جاثَليق النصارى، فنَفَض ثوبَه، وقام كالمُنكِر لقول عمر، فقال عمر: ما يقول عدوُّ الله؟ قالوا: إنه يقول: إن الله لا يهدي ولا يضل، فقال: كذبت يا عدو الله، بل الله خَلَقك، ثم أضلَّك، ولولا وَلْثٌ[٤] من عَهْدٍ لضَرَبْتُ عُنقَك، ثم قال عمر رضوان الله عليه: إن الله لمَّا خلَق آدم بَثَّ ذُرِّيتَه في الأرض وقال: هؤلاء وما كانوا عاملين للجنة، وهؤلاء وما كانوا عاملين للنار، وأشار بالجنة لأهل اليمين، والنار لأهل الشمال، قال: فافترق الناس وما يختلف اثنان في القَدَر[٥].

عبد الله بن شداد بن الهاد

واسم الهاد عَمرو اللَّيثي، وسمي الهادي لأنه كان يوقد نارَه للأضياف ليلاً، ولمن سلك الطريق.

---

(١) في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٨ : وأم عمرو.

(٢) ذكر الزبيري من أولاده في نسب قريش ص٨٦ الصَّلْت بن عبد الله بن الحارث، وانظر ما سيرد ص٣٤٥ في ذكر أولاد عبد الله بن نوفل بن الحارث.

(٣) هو ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، انظر «تاريخ دمشق» ٨٥ (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد).

(٤) شيء قليل.

(٥) «تاريخ دمشق» ٨٦ـ٨٨ ، وانظر في ترجمته: «طبقات ابن سعد» ٩/ ٩٩ ، و«السير» ٣/ ٥٢٩ .

وعبد الله من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه سَلْمى بنت عُمَيس الخَثْعَميَّة أخت أسماء.

روى عبد الله عن عمر، وعلي رضي الله عنهما.

وكان شيعياً ثقةً قليلَ الحديث، وهو أخو بنت حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه لأمها.

وكان يأتي الكوفة كثيراً فينزلها، وخرج فيمن خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث فقتل يوم دُجَيل.

وقال: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصُّفوف، وهو يقرأ سورة يوسف حين بلغ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٨٦].

وكان عابداً فقيهاً كثير الحديث، شهد مع علي عليه السلام النهروان، وخالته ميمونة زوج النبي ﷺ أخت سلمى وأسماء ابنتي عُمَيْس، وأمهن هند بنت عوف.

وكان شريفاً مُطاعاً، ولقي معاذاً، وابنَ عباس، وابن عمر، وعائشة وأم سلمة، وميمونة رضي الله عنهم، وغير واحد من الصحابة.

وكان من كبار التابعين وثِقاتهم، وروى عنه طاووس، والشّعبي، وابن عَون، وأبو إسحاق الشَّيباني وغيرهم[١].

عبد الرحمن بن حُجَيْـرَة

أبو عبد الله الخَوْلاني، كان يقصُّ بمصر على الناس، وهو قاضيها، وكان يلي بيت المال، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، وكان رزقُه في كلِّ سنةٍ ألفَ دينار: مئتان عن القضاء، ومئتان عن القصص، ومئتان عن ولاية بيت المال، ومئتان عن رزقه، ومئتان جائزة، فلا يَحول الحَوْل وعنده دِرهم، ومات في المحرَّم، وروى عن ابن عمرو، وأبي هريرة وغيرهما[٢].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٦٤، ٨/ ٢٤٦، و«تاريخ دمشق» ٩/ ٤٠٢، و«تهذيب الكمال» (٣٣١٨)، و«السير» ٣/ ٤٨٨.

(٢) «أخبار القضاة» ٣/ ٢٢٥، و«تهذيب الكمال» ١٧/ ٥٤.

[فصل: وفيها توفي]

أعشى هَمْدان

واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث، [وكنيته] أبو المُصَبَّح الكوفي الهَمْداني، كانت أخت الشعبيّ تحته، وأختُه تحت الشعبي.

وكان الأعشى قارئاً لكتاب الله تعالى، فقيهاً، فترك ذلك واشتغل بالشعر.

[وحكى الهيثم عنه] قال: رأيت في المنام كأني دخلت بيتاً فيه حِنطة وشَعير، [فقبضتُ بيدي اليمنى على الحنطة، والأخرى على الشعير، فقصصتها على الشعبي، وفي رواية:] فتركتُ الحِنطةَ وأخذتُ الشعير، فقال له الشعبي: لئن صدقتْ رؤياك لتَسْتَبدِلَنَّ القرآن بالشعر[1]، [ويقال: إنه نسي القرآن وقال الشعر.

ذكر طرف من أخباره:

وهو أعشى هَمْدان، قال الجوهري: والأعشى هو الذي لا يبصر بالليل، ويبصر بالنهار][2].

وقد ذكرنا أنه خرج مع ابن الأشعث، قال المبرّد: أُتي الحجاجُ بأعشى هَمْدان، فقال له: يا عدوَّ الله، الحمد لله الذي مَكَّنني منك، وشفى صدري، ألست القائل: [من الرجز]

إن ثَقيفاً منهم الكَذّابانْ ... كذَّابُها الماضي وكَذَّابٌ ثان

وذكر الأبيات، ألستَ القائل في ابن الأشعث: [مجزوء الكامل]

يا بن الأَشَجِّ قَريعَ كِنـ ... ـدَةَ لا أُبالي فيك عَتْبا

أنت الرئيسُ ابنُ الرئيـ ... ـس وأنت أعلى الناسِ كَعْبا

نُبِّئْتُ حَجّاجَ بنَ يو ... سفَ خَرَّ من زَلَقٍ فتَبَّا

فانهضْ هُديتَ لعلّه ... يَجلو بك الرحمنُ كَرْبا

يا عدو الله، بل ابن الأشعث خرَّ من زَلَقٍ فتَبّ، وجار وانْكَبّ، وما لقي ما أَحَبّ، ورفع بها صوتَه، وارْبَدَّ وَجهُه، واهتزَّ مَنكِباه، فلم يَبقَ في المجلس إلا مَن أهَمَّتْه نفسُه، فقال الأعشى: بل أنا القائل: [من الطويل]

---

(١) كذا، والجادة: لتستبدلَنَّ الشعر بالقرآن.

(٢) «الصحاح» (عشى ٦/ ٢٤٢٧)، وما بين معكوفين من (ص).

أبى الله إلا أن يُتَمِّمَ نُورَه ... ويُطفِىءَ نُورَ الفاسِقين فيَخْمُدا[1]
ويُنزِلَ ذُلاً بالعراقِ وأهلِه ... كما نَقَضوا العَهْدَ الوَثيقَ المُؤكَّدا
وما أحدثوا من بِدعةٍ وعَظيمةٍ ... من القَوْلِ لم تَصْعَد إلى الله مَصْعَدا
وما نَكَثوا من بَيْعةٍ بعد بَيْعةٍ ... إذا ضَمِنوها اليوم خاسوا بها غدا
فكيف رأيتَ الله فَرَّق جَمْعَهم ... ومَزَّقهم عُرْضَ البلادِ وشَرَّدا
فلا صِدقَ في قولٍ ولا صَبْرَ عندهم ... ولكنَّ فَخْراً فيهمُ وتَزَيُّدا
فقَتْلاهمُ قتلى ضَلالٍ وفِتْنةٍ ... وحَيُّهمُ أمسى ذَليلاً مُطَرَّدا
ولما زَحَفْنا لابنِ يُوسُفَ غُدوةً[2] ... وأبْرقَ منّا العارِضان وأرْعَدا
قَطَعْنا إليه الخَنْدَقَين وإنما ... قَطَعْنا وأفْضَيْنا إلى الموتِ مُرصِدا
فما لَبث الحجاجُ أن سَلَّ سيفَه ... علينا فوَلّى جَمْعُنا وتَبَدَّدا
فيَهْنى أميرَ المؤمنين ظُهورُه ... على أُمَّةٍ كانوا بُغاةً وحُسَّدا
وَجَدْنا بني مَروان خيرَ أئمَّةٍ ... وأفضلَ هذي الناسِ حِلْماً وسُؤدَدا
وخيرَ قُريشٍ في قريش أَرُومَةً ... وأكرمَهم إلا النبيَّ مُحَمَّدا
إذا ما تَدَبَّرْنا عَواقِبَ أمرِه ... وَجَدْنا أميرَ المؤمنين مُسَدَّدا
سيُغْلَبُ قَومٌ غالبوا الله جَهْرةً ... وإن كايَدوه كان أقوى وأكْيَدا
لقد تَركوا الأهْلِينَ والمالَ خَلْفَهمْ ... وبِيضاً عليهنّ الجَلابيبُ خُرَّدا[3]
يُنادِيْنَهم مُسْتَعبِراتٍ إليهمُ ... ويُذْرِينَ دَمْعاً في الخُدودِ وإثْمِدا
لقد شَأمَ المِصْرَين فَرْخُ محمّدٍ ... بذُلٍّ وما لاقى من الطَّيرِ أَسْعدا
كما شَأمَ الله النُجَيْرَ[4] وأهلَه ... بجَدٍّ له قد كان أَشْقى وأَنْكَدا

(١) كذا في الطبري ٦/ ٣٧٦ ، وفي الأغاني ٦/ ٦٠ : نارَ الفاسقين فتخمدا . وهو الأنسب
(٢) كذا في الطبري . وفي الأغاني : ضِلَّةً، أي : ضلالاً . وهو الأشبه .
(٣) جمع خَرِيدة، وهي الفتاة العذراء .
(٤) هو حصن منيع باليمن قرب حضرموت، لجأ إليه أهل الرِّدَّة مع الأشعث بن قيس في أيام أبي بكر رضي الله عنه، فحاصره زياد بن لبيد البياضي حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه وأسر الأشعث بن قيس وذلك سنة (١٢) للهجرة ينظر معجم البلدان ٥/ ٢٧٢ .

من أبيات، فقال مَن حَضر من أهل الشام: أيها الأمير، إنه قد أحسن، فخلِّ سبيلَه، فقال الحجّاج: والله ما أراد بهذا المدح، وإنما قاله حَنَقاً وتَغَيُّظاً على أصحابه حيث لم يَظفَروا بكم، وظهرتُم عليهم، ثم قال له: ألست القائل:

بين الأشَجِّ وبين قَيْسٍ باذِخٌ؟

قال: بلى، قال: فأنشِدْها، فأنشد: [من الكامل]

كم من أبٍ لك كان يَعْقِدُ تاجَه ... بجَبينِ أبْلَجَ مِقْوَلٍ صِنْديدِ
وإذا سألتَ: المجدُ أين مَحَلُّه ... فالمَجْدُ بين محمدٍ وسعيدِ
بين الأشَجِّ وبين قيسٍ باذِخٌ ... بَخْ بَخْ لوالِدِه ولِلمَولودِ

قال له الحجاج: وَيْحك، هذا لابن الحائك، فما أبقيتَ لمَن بعده؟ والله لا تُبَخْبِخُ بعدها لأحدٍ أبداً، وضرب عُنقه.

فقال الشعبي: قدمتُ البصرةَ، فجلست في حَلقةٍ فيها الأحنف بن قيس، فقال رجل من القوم: من أين أنت؟ فقلت: من الكوفة، فالتفت إلي رجل فقال: هذا مولانا، أي: عبدنا، فقلت له: هل علمتَ ما قال أعشى هَمْدان فينا وفيكم؟ قال: وما الذي قال؟ قلت: [من الرمل]

وإذا فاخَرْتُمونا فاذكُروا ... ما فعَلْنا بكُمُ يومَ الجَمَلْ
إن ذاك اليوم لا مِثْلَ له ... فانتَهُوا قد سَبَقَ السَّيفُ العَذَلْ
بين شيخٍ خاضِبٍ عُثْنُونَه ... وفَتىً أبيضَ وَضّاحٍ رِفَلّ[1]
جاءنا يَهْدِرُ في سابِغَةٍ ... فذَبَحْناه ضُحًى ذَبْحَ الجَمَلْ
ثم ناداكُم مُنادٍ أنه ... آمِنٌ مَن رَدَّ باباً ودَخَلْ
وعَفَوْنا فنَسِيتُم عَفْوَنا ... وكَفَرْتُم نِعْمَةَ الله الأَجَلّ
أفَخَرْتُمْ أن قَتَلْتُم أعْبُداً ... وهَزَمْتُم مُرَّةً آلَ رُغَلْ[2]
نحن قُدناكُم صِغاراً عَنْوَةً ... وجَمَعْنا أمرَكُمْ بعد الفَشَلْ

قال: فغضب الأحنف بن قيس وقال: هاتوا تلك الصَّحيفة، فإذا هي من المختار إلى الأحنف بن قيس ومَن قِبَلَه من مُضَر: أما بعد، فويلٌ لمُضَر من شَرٍّ قد حَضَر، ولابد

(١) العُثنون: ما نبت على الذقن وتحته سفلاً، والرِّفَلُّ: الطويل الذيل من الثياب.
(٢) في الأغاني ٦/ ٥٥ : آل عَزَل. يريد بهم الخوارج.

أن يُورَد الأحنفُ وقومُه حرَّ سَقَرْ، لا يَقدِرُون على صَدَرْ، وقد بلغني أنكم تُكَذِّبون بي وبرُسُلي، فإن فعلتُم فقد كُذِّب الرُّسُل من قَبلي، ثم قال الأحنف: فهذا منا أو منكم؟ قال الشعبي: فلم أُحِرْ جواباً.

وقال حمّاد بن زيد: خرج الأعشى إلى بلاد الدَّيْلَم فأُسِر، فأقام عند بعض الدَّيْلَم مُدةً، فهَوِيَتْه ابنتُه، وصارت إليه ليلاً، وأمكَنَتْه من نفسها، فواقَعها في تلك الليلة ثماني مرات، فقالت: هكذا تَصنعون بنسائكم؟ قال: نعم. قالت: فبهذا تُنْصَرون. ثم قالت: فإن أنا خَلَّصْتُك تَصطَفيني لنفسك؟ قال: نعم. فلما كان الليل حَلَّتْ قُيودَه، وأخذت به طرائق تعرفُها، فخَلَصا[1].

عبد الرحمن بن أبي ليلى

يسار بن بلال بن بُليل بن أُحَيحَة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجَبا بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو بن عوف، من الأوس، أنصاري.

وأبو ليلى صحب رسول الله ﷺ وشهد معه أُحداً وما بعدها من المشاهد، ثم انتقل إلى الكوفة وبنى بها داراً في جُهينة.

روى عنه ابنُه عبد الرحمن، وشهد هو وابنه عبد الرحمن مع علي عليه السلام مشاهدَه كلَّها، ووفد على معاوية، ووُلد ابنُه عبد الرحمن لستّ سنين بقيت من خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وقدم المدائن في حياة حُذيفة وفي أيام علي عليه السلام.

وعبد الرحمن كُنيته أبو عيسى، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وكان عالماً زاهداً متعبداً، كان إذا صلى الصبح نشر المصحف، وقرأ حتى تطلع الشمس.

ولما قدم الحجاج الكوفة أراد أن يستعمله على القضاء، فقال له حَوْشَب: إن كنتَ تريد أن تبعثَ عليَّ بن أبي طالب على القضاء فافعل.

قال الأعمش: رأيتُ عبد الرحمن وقد أوقفه الحجاج فقال: الْعَن الكذَّابين: علياً وعبد الله بن الزبير والمُختار بن أبي عبيد، فقال عبد الرحمن: لعن الله الكذَّابين، ثم

---

(١) انظر في ترجمته: «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٧٥ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٩٥ ، و«مروج الذهب» ٥/ ٣٥٥ـ٣٥٨ ، و«الأغاني» ٦/ ٣٣ـ٦٢ ، و«تاريخ دمشق» ٩/ ١٠٠٣ و١٠/ ١ـ٣ (مخطوط)، و«المنتظم» ٦/ ٢٥٣ ، و«السير» ٤/ ١٨٥ . والدَّيْلَم (كما في المعجم الوسيط): جيلٌ من العجم كانوا يسكنون نواحي أذربيجان.

ابتدأ فقال: عليٌّ وابنُ الزبير والمختار، قال الأعمش: فعلمتُ حين ابتدأ فرفعهم أنه لم يَعْنِهم.

وولاه الحجاج قضاء الكوفة فقيل: هو شيعي، فعزله، وولّى أبا بُردة بن أبي موسى، وأقعد معه سعيد بن جُبير.

وكان عبد الرحمن عَلويّاً، وعبد الله بن عُكَيم عُثمانياً، اصطحبا عشرين سنة، وكانا في مسجد واحد، فما جرى بينهما كلمة في أمر عثمان وعلي رضوان الله عليهما.

ولما ماتت أمُّ عبد الرحمن قدم ابنُ عُكَيم فصلّى عليها.

وعبد الله بن عُكَيم الجُهَني من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، روى عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود ﷺ، وكان كبيراً قد أدرك الجاهلية، وتوفّي بالكوفة في ولاية الحجاج، وقال سفيان بن عُيينة: أنا غَسّلتُه[1].

ذكر وفاة عبد الرحمن:

خرج على الحجاج فقتل بدُجَيل، وقيل: غرق بدُجَيل.

أسند عبد الرحمن عن أبيه، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ، وأُبيّ بن كعب في آخرين، وقال: أدركت عشرين ومئةً من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ إذا سُئل أحدُهم عن المسألة أحبّ أن يكفيه غيره، وفي رواية: ما منهم أحد يسأل عن شيء إلا أحبّ أن يكفيَه صاحبُه الفُتيا، وإنهم ها هنا يَتوثَّبون على الأمور تَوثُّباً.

وروى عنه الشعبي، ومجاهد، والحسن البصري، وابن سيرين، والأعمش، وأقرانهم[2].

وعبد الرحمن بن أبي ليلى والد محمد الفقيه قاضي الكوفة، توفي سنة ثمان وأربعين مئة.

عُقبة بن عبد الغافر

أبو نَهار الأزديّ، من الطبقة الثانية[3] من أهل البصرة، كان زاهداً عابداً.

---

(١) انظر ترجمة ابن عكيم في «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٣٣.

(٢) انظر في ترجمة عبد الرحمن: «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٢٩، و«تاريخ بغداد» ١٠/ ١٩٩، و«المنتظم» ٦/ ٢٥٢، و«السير ٤/ ٢٦٢.

(٣) في (خ): الثالثة، وهو خطأ.

قال ثابت البُناني: ما كان أحدٌ من الناس أحبّ إليَّ أن ألقى [الله في] مِسْلاخِه[١] إلا عُقبة بن عبد الغافر، فلما وقعت الفتنةُ أتيناه فقال: ما أعرفكم.

ولما وقعت فتنةُ ابن الأشعث خرج فيها، وقاتل الحجاج مع القُرَّاء، فلما وقع جَريحاً في الخندق، وانهزم الناس؛ جعل يقول: ذهبت الدنيا والآخرة، ثم قُتل.

[وفيها توفي]

أبو البَخْتَرِيّ الطائيّ

[ذكره ابن سعد] في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة، [قال:] واسمُه [فيما ذكر] عليّ بنُ عبد الله بن جعفر: [سعيد بن أبي عمران]، وقيل: سعيد بن جُبير[٢].

وهو مولى لبني نَبْهان من طَيّىء.

ولما كان يوم الجَماجم أراد القُرَّاء أن يُؤمّروه عليهم فقال: لا تفعلوا فإني رجل من الموالي، فأمَّروا عليهم رجلاً من العرب.

شهد مع ابن الأشعث يوم دُجَيل الأهواز سنة ثلاث وثمانين فقتل.

وكان يسمع النَّوحَ ويبكي، وكان[٣] كثيرَ الحديث، يُرسل حديثَه [ويروي عن أصحاب رسول الله ﷺ]، فما كان من حديثه سماعاً فهو حسن، وما كان مرسلاً فهو ضعيف.

[فصل: وفيها توفي]

الكُمَيْل بن زياد

ابن نَهيك بن مالك[٤] النخعي، من الطبقة الأولى من أهل الكوفة، وكان من أصحاب علي عليه السلام، شهد معه صفِّين والنَّهروان ومشاهدَه كلَّها.

---

(١) في النسخ: ألقى سلاحه، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٩/ ٢٢٤. والمِسْلاخ: الجِلْد.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، وكان فيها: واسمه فيما ذكر علي بن عبد الله بن جعفر، وقيل سعيد بن جبير، وقيل سعيد بن أبي عمران، وأصلحت سياقه من «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٠٩، وسمَّاه الذهبي في «السير» ٤/ ٢٧٩ سعيد بن فيروز.

(٣) في (ص): وقيل كان يسمع... قال وكان.

(٤) بين نهيك ومالك ستة آباء في «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٩٩، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٤٨٠.

وكان فصيحاً شريفاً مطاعاً في قومه. [وذكره المدائني فقال: كان] من عُبّاد الكوفة ورؤساء الشيعة. [قال ابن سعد: كان] ثقةً قليلَ الحديث[١].

سيَّره عثمان رضي الله عنه من الكوفة إلى الشام مع مَن سَيَّره، وكان عثمان رضوان الله عليه قد لَطمه، فطلب منه القِصاص، فقال: اقتصّ، فعفا عنه.

واختلفوا في كيفية قتله ومتى قُتل، فذكرنا أن الحجاج لما دخل والياً إلى الكوفة قتله؛ لأنه لما فرغ من خطبته قال للنَّخَع: أفيكم الكميل بن زياد؟ قالوا: نعم، قال: أحضروه، فامتنعوا، قال: لا عطاء لكم حتى تأتوني به، فجاؤوا به على نعش، فتركوه إلى جانب المنبر فقتله[٢].

والمشهور [أنه] قتلَه بعد دير الجماجم، وكان مع القُرَّاء، فلما انهزم ابن الأشعث، وجيء بالأسرى؛ جيء بالكُميل [بن زياد] فقال له الحجاج: أنت المُقتَصُّ من أمير المؤمنين عثمان؟ قد كنتُ أحبُّ أن أجِدَ عليك سبيلاً، فقال له الكُميل: ما أدري على أيِّنا أنت أشدُّ غضباً، عليه حين أقاد من نفسه، أو عليَّ حين عفوتُ عنه! فقال: والله لا تركتُك تقتصُّ من خليفة أبداً، فقال: أيها الرجل، لا تَصرِف عليَّ أنيابَك، ولا تَهَدَّم عليّ تَهدُّمَ الكَثيب، ولا تكشِرْ كَشَرَان الذِّئب، والله ما بقي من عُمري إلا ظِمْءُ الحِمار[٣]، يشرب غُدوةً ويموت عَشيَّةً، أو يشرب عَشيةً ويموت غُدوة، اقضِ ما أنت قاض [إنما تقضي هذه الحياة الدنيا]؛ فإني أنتظر الموت صباحاً ومساء، والقصاصُ أمامك، والموعد القيامة. فقال: والله لأقتلَنَّك على يدي إنسانٍ هو أشدُّ بُغضاً لابن أبي طالب من حبّك إياه، فقال: أما أمير المؤمنين فقد صار إلى جنّات النعيم، وأما أنت وبنو أمية ففي عذاب الجَحيم، والله لو علموا أكثفَ وجهاً، وأقلَّ عقلاً، وأجرأ على الله منك لما ولَّوك يا ابن أبي رِغال، يا بقية [آل] ثَمود، ولعنه لَعْناً كثيراً، فأمر ابنَ أدهم القيسي[٤] الحمصي ـ وكان أبغض الناس لأمير المؤمنين عليه السلام ـ فضرب

---

(١) ما بين معكوفات من (ص)، وانظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٩٩ ، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٤٨٢ و٤٨٤ وعنه ينقل.

(٢) من قوله واختلفوا. . . إلى هنا من (ص) وفي (أ) و(ب) و(خ) و(د): فعفا عنه، وقد ذكرنا قتل الحجاج له لما دخل الكوفة .

(٣) أي: إلا اليسير. لأن الحمار قليل الصبر على الظمأ. والظِّمْءُ: ما بين الشُّرْبين.

(٤) في «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٤٩١ : فبعث إلى أدهم القيسي، وانظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٦٥ .

عنقه، وقيل: إنما قتله أبو جَهْم بن كِنانة الكلبيّ [وكان] ابنَ عمِّ منصور بن جُمهور، وكان الكُميل قد جاوز التسعين.

أسند عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي هريرة ﷺ، وروى عنه الأعمش، وأبو إسحاق الهَمْداني وغيرهما.

[ومن رواياته عن علي الموعظة البالغة، وقد ذكرناها في ترجمة أمير المؤمنين]. وحضر الكُميل حصار عثمان رضوان الله عليه.

محمد بن سعد بن أبي وقّاص

من الطبقة الأولى من التّابعين من أهل الكوفة، وكان بالمدينة، فتحوَّل إلى الكوفة، وكان ثقةً وله أحاديث، والأصحُّ أنه قتل بعد الجَماجم، أُتي به أسيراً إلى الحجَّاج فقتله[١].

[فصل: وفيها توفيت]

معاذة بنت عبد الله

[وكنيتها] أمُّ الصَّهباء العَدَويّة، زوجة صِلة بن أَشْيَم [وقد ذكرناها في سنة ست وسبعين].

كانت من عابدات البصرة.

[قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن فُضيل، عن أبيه قال:] كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تُمسي، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فلا تنام حتى تُصبح، وإذا جاء البَرْدُ لبست الثيابَ الرِّقاق حتى يَمنعها البردُ من النوم[٢].

[وقال ابن أبي الدنيا بإسناده إلى حكم بن سنان الباهلي، عن امرأة كانت تخدم معاذة العدوية قالت:] كانت تحيي الليل صلاةً، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٦٥ـ١٦٦ .

(٢) «الزهد» لأحمد ٢٥٧ . وما بين معكوفين من (ص).

وتقول: يا نفس، النوم أمامَك، ولو قد متِّ لطالت رَقْدَتُك في القبر على حسرةٍ أو سرور، [قالت:] فهي كذلك حتى تُصبح.

[قالت:] وكانت تصلّي كلّ يومٍ وليلةٍ ستّ مئة ركعة، وتقرأ جُزأها من القرآن، تقوم به الليل وتقول: عَجِبتُ لعينٍ تنام وقد عرفتْ طُولَ الرُّقادِ في ظُلمة القبور.

[وقال ابن أبي الدنيا بإسناده: إنها] لم ترفع رأسَها إلى السماء أربعين عاماً.

[قال: وقالت معاذة لابنةٍ] أرضعتْها[1]: يا بُنَيّة، كوني من لقاء الله على حذر ورجاء، فإني رأيت الراجي له مَحْفوفاً بحسن الزُّلفى لديه يوم القيامة، ورأيت الخائف له مؤمّلاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم غلب عليها البكاء.

[قال:] وقالت: قد صحبتُ الدنيا سبعين عاماً، فما رأيتُ فيها قُرَّةَ عينٍ قط، وكيف أرى السرورَ فيها وقد كَدَّرَتْ على الأمم قبلَنا عيشَهم؟!

[وروى ابن أبي الدنيا أن معاذة] لم تتوسَّد فراشاً بعد أبي الصَّهْباء حتى ماتت[2].

[قال:] وكانت تقول: والله ما أحبُّ البقاءَ في الدنيا إلا لأتقرَّبَ إلى الله بالوسائل، لعله أن يجمع بيني وبين أبي الصَّهباء وولده في الجنة، فلما احتُضرت بكت ثم ضحكت، فقيل لها في ذلك فقالت: أما بكائي فإني ذكرتُ مفارقةَ الصلاةِ والصيام والذّكر، وأما ضَحكي فإني رأيتُ أبا الصهباء قد أقبل في صحن الدار، وعليه حُلَّتان خَضْروان ما رأيتُ في الدنيا أحسنَ منهما، ورأيت معه نفراً ليس في الدنيا مَن يُشبههم[3] فضحكتُ فَرَحاً بهم، ثم ماتت بعد ساعة قبل دخول وقتِ الصلاة.

[قال الواقدي: توفيت معاذة] في سنة ثلاث وثمانين، وروت عن عائشة رضوان الله عليها، وروى عنها الحسن البصري وغيره، والله أعلم[4].

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وقالت لامرأة أرضعتها، والمثبت من (ص) وما بين معكوفات منها.

(٢) انظر «التهجد وقيام الليل» لابن أبي الدنيا (٨١) (٨٢) (١٤٥)، وما بين معكوفات من (ص)، وقوله: لم تتوسد... جاء في (أ) و(ب) و(خ) و(د) عقب القول الذي قبله. والمثبت من (ص).

(٣) في (أ): لم أر في الدنيا من يشبههم أحسن منهم.

(٤) بعدها في (ص): السنة الرابعة والثمانون. وانظر ترجمة معاذة في «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٤٤٧، و«المنتظم» ٦/ ٢٥٤، و«صفة الصفوة» ٤/ ٢٢ـ٢٤، و«السير» ٤/ ٥٠٨.

مَعْبَد الجُهَنيّ

من أهل البصرة، من الفقهاء، وهو أول من تَكَلَّم في القَدَر بالبصرة، وهو من الطبقة الثانية من أهل البصرة، وحضر التَّحكيم بدُومة الجَنْدل.

روى عن عِمران بن حُصَين، وعمر بن الخطاب رضوان الله عليه مرسلاً، وعثمان ابن عفان، وحُمْران بن أبان، وابن عمر، وابن عباس وغيرهم، وروى عن الحسن البَصريّ، وابن سيرين[1]، وروى عنه قتادة، ومالك بن دينار، وعَوف الأعرابيّ، ومعاوية ابن قُرَّةَ المُزَنيّ.

واستقدمه عبد الملك بن مروان إلى دمشق؛ ليُنْفِذَه رسولاً إلى ملك الروم، ثم جعله مع ابنه سعيد بن عبد الملك يُؤدِّبه ويُعلّمه.

وقال عبد الملك بن عمير[2]: اجتمع القُرَّاء إلى مَعْبَد الجُهنيّ ـ وكان ممن شهد دُومة الجَنْدل موضع الحكَمَين ـ فقالوا له: قد طال أمرُ هذين الرَّجُلَيْن، فلو لقيتَهما فسألتَهما عن بعض أمرهما، فقال: إنكم تُعَرِّضوني لأمرٍ أنا له كاره، والله ما رأيتُ مثلَ هذا الحيّ من قريش، كأنما أُقفلت قلوبُهم بأقفالٍ من حديد، وأنا صائر إلى ما سألتم.

قال مَعْبَد: فخرجتُ فلقيتُ أبا موسى، فقلت له: صحبتَ رسولَ الله ﷺ وكنتَ من صالحي أصحابه، واستعملك فكُنتَ من صالحي عُمّاله، وقُبض وهو عنك راض، وقد وَليتَ هذا الأمر، فانظر ما أنت صانع، قال: فقال لي: يا مَعْبد، غداً ندعو الناس إلى رجلٍ لا يَختلفُ عليه اثنان، فقلت: أما هذا فقد عزل صاحبَه، فطمعتُ في عمرو، فخرجتُ فلقيتُه وهو راكب على بغلة، فأخذتُ بعِنانها، وقلتُ له كما قلتُ لأبي موسى، فخلع عنانها من يدي وقال: إيه يا تيسَ جُهَيْنة، ما أنت وهذا؟ لستَ من أهل السرِّ ولا من أهل العلانية، والله ما يَنفعُك الحقّ، ولا يَضرُّك الباطل. ثم مضى وتركني، فقال معبد: [من البسيط]

---

(١) كذا وقع في النسخ، وإنما روى عنه الحسن البصري كما في تهذيب الكمال ٤٨/ ٢٤٥ ، ولم أقف على رواية ابن سيرين عنه، وإن كان ذلك ممكناً، فوفاة ابن سيرين سنة (١١٠). وقد روى معبد عن الحسن بن علي بن أبي طالب كما في تهذيب الكمال وتاريخ دمشق ٦٨/ ٤١٥ .

(٢) في النسخ: عبيد بن عمير، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤١٩ ، و«السير» ٤/ ١٨٦ .

إني لقيتُ أبا موسى فأخبرني ... بما أردتُ وعَمرٌو ضَنَّ بالخَبرِ
شتّانَ بين أبي موسى وصاحِبِهِ ... عمرٍو لعَمْرُك عند الفَضْلِ والخَطَرِ
هذا له غَفْلةٌ أبدتْ سريرتَه ... وذاك ذو حَذَرٍ كالحيَّةِ الذَّكَرِ

وقال ابن معين: كان مَعْبد ثقةً صدوقاً في الحديث، وكان رأساً في القَدَر.

وقال أبو زُرْعَة: كان مَعبد ضعيفاً، وقال يحيى بن يَعْمَر: زعم معبد أن الأمر أُنُف، مَن شاء عمل خيراً، ومَن شاء عمل شرّاً.

وقال الأوزاعي: أول من تكلَّم في القَدَر رجل من أهل العراق يقال له: سُوْسَن، كان نصرانياً فأسلم ثم ارتدّ، فأخذ عنه مَعْبَد الجُهنيّ، وأخذ غَيْلانُ عن مَعْبَد.

وروى ابن عساكر: أن مَعبد الجُهنيّ لما تكلّم في القَدَر أخذه الحجاج فقتله.

وكان مَعْبد قد قاتل الحجاج في المواطن كلها، ثم ندم على قتاله، وكان الحجاج يُعذِّبُه بأنواع العذاب فلا يَصيح، فإذا جاء الذُّباب فوقع على جُرحه يَستغيث، فقيل له في ذلك فقال: عذابُ بني آدم أصبر عليه، أما الذباب فمن عذاب الله فلا صبر لي عليه.

وقيل: إن عبد الملك بن مروان قتله في القَدَر في سنة ثمانين، وصَلَبه بدمشق، وكان الحسن البصري يقول: أنهاكم عن مَعْبَد؛ فإنه ضالٌّ مُضِلّ[1].

المُهَلّب بن أبي صُفْرة

ظالم بن سَرَّاق بن صُبْح بن كِنديّ بن عمرو بن عَديّ بن وائل بن الحارث بن العَتيك بن الأَسْد بن عِمران بن عمرو بن مُزَيْقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد، الأَزْديّ، العَتَكيّ، البَصْريّ، وقيل: اسم أبي صُفْرة: سارق بن ظالم، وقيل: ظالم بن سارق، وقيل طارق بن سارق، وقيل: قاطع بن سارق.

وكان له ابنة يقال لها: فاختة، فسماها صُفرة.

وكان أبو صُفْرة من أَزْدِ دَبا، ما بين عُمان والبَحرين، وكانوا قد أسلموا، وقدم وَفْدُهم على رسول الله ﷺ مُقرِّين بالإسلام، فبعث إليهم مُصَدِّقاً منهم يقال له: حُذَيفة

(١) انظر «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤٢٠ـ٤٢١ ٤٢٣، ٤٢٥ ، ٤٢٨ـ٤٢٩ .

ابن اليَمان الأَزْدِيّ من أهل دَبَا، وكتب له فرائضَ الصدقات، فكان يأخذ صَدَقات أموالهم من أغنيائهم، ويَردُّها على فقرائهم، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدُّوا ومنعوا الصدقة، فكتب حذيفة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بذلك، فوجه عكرمةَ بنَ أبي جَهْل إليهم، فقاتلهم فهزمهم عكرمة، وأكثر فيهم القتل، ومضى فَلُّهم إلى حِصن دَبا فتحصَّنوا فيه، وحَصرهم المسلمون في الحصن، حتى نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان الأزديّ، فقتل مئةً من أشرافهم، وسبى ذراريهم، وبعث بهم إلى أبي بكر الصديق رضوان الله عليه إلى المدينة، وفيهم أبو صُفرة غلامٌ لم يَبلغ يومئذ، فأراد أبو بكر رضي الله عنه قتلَهم، فمنعه عمر بن الخطاب من ذلك وقال: هؤلاء قوم قد شَحُّوا على أموالهم، وأبى أبو بكر عليه، فوقَّف أمرَهم، وأنزلهم في دار رَمْلة بنت الحارث إلى أن توفي أبو بكر رضوان الله عليه، وولي عمر رضوان الله عليه، فدعاهم وقال: قد أفضى هذا الأمر إليّ، فانطلقوا إلى أيِّ البلاد شئتُم وأنتم أحرار لا فديةَ عليكم، فخرجوا حتى نزلوا البصرة، ورجع بعضهم إلى بلاده، وكان أبو صُفرة فيمن نزل البصرة، وشَرُف بها هو وأولاده[1]. وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة.

وأما المهلب فمن الطبقة الأولى أيضاً من التابعين من أهل البصرة، وكنيته أبو سعيد، أدرك عمر رضي الله عنه ولم يرو عنه شيئاً، وروى عن سَمُرة بن جُنْدب وغيره، وولي خُراسان، ومات بمَرْوِ الرُّوذ سنة ثلاث وثمانين، واستخلف على خراسان ابنَه يزيد فأقرَّه الحجَّاج[2].

وكان المُهلَّب وأولاده من وجوه أهل البصرة وأشرافهم وشُجعانهم وفُرسانهم وأجوادهم.

وقال ابن عساكر: وفد أبو صُفرة على عمر رضوان الله عليه ومعه عشرة من الولد؛ المُهلَّبُ أصغرهم، فجعل عمر ينظر إليهم ويتوسَّمُهم، ثم قال لأبي صُفرة: هذا سيدُ ولدِك، يعني المهلب[3].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٠٠ـ١٠١ ، ومن طريقه «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٢ـ٤٤٣ ، و«تهذيب الكمال» (٦٨٢٤).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٢٩ .

(٣) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٥ (مخطوط).

وفي سنة أربع وأربعين غزا المهلَّبُ أرضَ الهند، وولاه مصعب بن الزبير الجزيرة بعد قتل المختار، وغزا في خلافة عثمان رضوان الله عليه، وولي لبني أمية ولايات كثيرة، وأوفده سالم بن زياد على يزيد بن معاوية بهدايا كثيرة، فقدم على يزيد وهو بحُوَّارِين، واعتلَّ المهلَّبُ بالشام، فكان يزيد يعودُه، ويبعث إليه في كلِّ يومٍ بدواءٍ مختوم.

وقال خليفة: وَلّاه مصعب البصرة نيابة عنه، وولاه الحجاج خراسان في سنة ثمان وسبعين، وولاه إياها عبد الملك في سنة تسع وسبعين[١].

وقاتل أصحابَ أبي راشد[٢] نافع بن الأزرق، وكانوا خرجوا من البصرة فغلبوا على الأهواز وكُوَرِها، وما وراءها من بلد فارس وكَرْمان في أيام عبد الله بن الزبير، وقتلوا عُمَّالَه بتلك النواحي، وكان مع نافع من أمراء الخوارج قَطَريّ بن الفُجاءة، وعطيّة بن الأسود الحَنفيّ، وعُبيدة بن هلال اليَشْكُريّ، وكانوا زُهاء ثلاثين ألفاً ممّن يرى رأيَهم، وكان عبد الله بن الحارث بَبَّه قد ولي البصرة عَقِيب إخراج عُبيد الله بن زياد منها، وأقرَّه ابن الزُّبير، وكان الخوارج قد ثاروا في زمنه، فجهز إليهم الجيوش وهم يهزمونها، وذلك في سنة أربع وستين، فبعث إليهم المهلَّب فأقام يُحاربهم تسعَ عشرة سنة؛ إلى أن ظهر عليهم في أيام الحجاج، وقَدِم عليه البصرة، فأكرمه وأجلسه معه على سريره، ووصل أصحابَه.

ومات نافع بن الأزرق وهم في حرب المهلَّب، فولَّوْا عليهم قَطَريَّ بن الفُجَاءة، وسمَّوه أميرَ المؤمنين، فخوطب بإمرة المؤمنين ثلاثَ عشرة سنة.

قال المغيرة بن محمد المُهَلَّبي[٣]: لما قاتل المهلَّب الأزارقة كان يَحترز من البَيات، فكان هو وابنُه المُغيرة يَدوران في أقاصي العسكر، ويَحرُسان الناس، فبينما هما ذات ليلة يَحرسان إذ مرّ بهما فارس مُتَلَثِّم قد سَتَر وجهَه وسائرَ بدنه بالحديد، فناداهما: أيّ شعرائكم يقول: [من الكامل]

---

(١) «تاريخ خليفة» ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٧٧، وانظر «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٥ـ٤٤٦.

(٢) في المخطوطات: رافع، وهو خطأ.

(٣) الخبر في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٧ من رواية المغيرة بن محمد عن أبيه.

وطَوى الطِّرادُ مع القِياد بطونَها طَيَّ التِّجار بحضرموتَ بُرودا[1]

فقال المهلّب: هو جرير، فقال: هو والله أشعرُ شُعرائكم، ثم ولى، فقال المهلب: هذا والله قَطَرِيّ بن الفُجاءة.

ذكر وصية المهلب لأولاده، وطرف من كلامه وأخباره:

لما مرض دعا مَن عنده من بنيه وقال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرَّحم، وأنهاكم عن القطيعة، واعرفوا لمَن يغشاكم حقَّه، ويكفي غُدوَّ الرجل ورَواحَه إليكم تذكرة، وعليكم في الحرب بالأناة والمَكيدة؛ فإنها أنفع من الشجاعة، وعليكم بقراءة القرآن، وتعلُّم السنن وآداب الصالحين، وعليكم بالصَّمت، وإياكم كثرة الكلام، وعليكم بالاجتماع، واحذروا الفُرقة.

ودعا بسهامٍ فربطها وقال: اكسروها، فلم يقدروا، ففرَّقها وقال: اكسروها، فكسروها، فقال: كذا أنتم إذا اجتمعتم وتفرَّقتُم، أخذه من قول ابن عبد الأعلى الشيباني: [من الكامل]

إن القِداحَ إذا اجتمَعْنَ فرامَها بالكَسْرِ ذو حَنَقٍ وعِزٍّ[2] أَيِّدِ
عَزَّتْ فلم تُكْسَرْ فإن هي بُدِّدَتْ فالكَسْرُ والتَّوهينُ للمُتَبَدِّدِ

قال المهلَّب لابنه يزيد: يا بُنيّ، إياك والإسراع إلى «نَعَم» عند السؤال؛ فإن أولَها سَهْل، وآخرَها وَعْر، وإن «لا» وإن قَبُحَتْ فربما رَوَّحَتْ.

وقيل للمهلب: بمَ نِلتَ ما نلت؟ فقال: بطاعة الحزم، وتجديد العزم، وعصيان الهوى.

وقال: ما شيء أَبْقى للمُلك من العَفو.

وقال: يُعجبني أن أرى عقلَ الكريم زائداً على لسانه، ولا يُعجبني أن أرى لسانَه زائداً على عقله.

---

(١) البيت لجرير، وهو في صفة خيل، انظر ديوانه ١/ ٣٣٩ (بشرح ابن حبيب).

(٢) في (أ): وبطش، وهي رواية في البيت، ونسبهما لابن عبد الأعلى: ابن الجوزي في المنتظم ٦/ ٢٧٥، وهما من قصيدة تمثل بها عبد الملك كما في التعازي والمراثي للمبرد ١٢٤ـ١٢٥.

ولم يُحفظ عنه من الشعر سوى هذين البيتين: [من البسيط]

إنّا إذا نَشَأتْ يوماً لنا نَعَمٌ قالت أَكُفٌّ لنا أزدِيَّةٌ عودوا
لا يوجدُ الجودُ إلا عند ذي كَرَمٍ والمالُ عند لِئامِ الناسِ مَوجودُ

ونزل المهلَّبُ دار محمد بن مِخْنَف، فلما أراد الرحيل قال لغلمانه: لا تحملوا من مَتاعنا شيئاً، فقُوِّم المتاعُ بثلاث مئة ألف درهم.

وكان المهلَّب أعورَ، سمع رجلاً يقول: هذا الأعور ساد الناس، ولو أُخرج إلى السوق لما ساوى أكثر من مئة درهم، فبعث إليه بمئة درهم وقال: لو زِدْتَنا في القيمة زِدناك في العطيَّة.

وأغلظ رجل للمهلب فلم يُجبه، فقيل له: اربَأ عليك، فقال المهلب: لم أعرف مَساوئه، أفأَبْهَتُه بما ليس فيه.

وقدم زياد الأعجم خُراسان على المهلَّب، فنزل على حَبيب بن المهلَّب، فجلسا يوماً على الشراب؛ وفي الدار شجرةٌ عليها حَمامة، فجعلت تدعو، فقال زياد: [من الوافر]

تَغَنَّيْ أنتِ في ذِمَمي وعَهْدي بأن لن يَذْعَرُوكِ ولن تُطاري
إذا غَنَّيْتِني وطَرِبْتُ وَهْناً ذَكرتُ أحبَّتي وذَكَرْتُ داري
فإمّا يَقتلوكِ طَلبتُ ثأراً بقَتلِهمُ لأنكِ في جِواري

فأخذ حبيبٌ سهماً، فرماها به فقتلها، فقال زياد: قتلتَ جاري؟ بيني وبينك أبوك. فاحتكما إلى المهلب فقال: يا حَبيب ادفع إلى أبي أُمامة دِية جارته ألفَ دينار كاملة، فقال حبيب: إنما كنتُ ألعب! فقال: ليس مع جارةِ جاري لَعب. فأعطاه ألفَ دينار، فقال زياد يمدح المهلَّب: [من الطويل]

فللّه عَيْنا من رأى كقَضيَّةٍ قضى لي بها شيخُ العراقِ المُهَلَّبُ
قضى ألفَ دينارٍ بجارٍ أجرتُه من الطير حَضَّانٍ على البَيْضِ يَنعَبُ
رماه حَبيبُ بنُ المُهَلَّب رميةً فأنفذه بالسَّهْمِ والشمسُ تَغرُبُ
فألزمه عَقْلَ القتيلِ ابنُ حُرَّةٍ فقال حبيبٌ إنما كنتُ أَلعَبُ

فـقـال: زيـادٌ لا يُـرَوَّعُ جـارُه فـذلـك جـاري بـل مـن الـجـارِ أقـرَبُ

وبلغ الحجاج فقال: ما أخطأتِ العربُ حيث جعلتْ المُهَلَّبَ رَجُلَها[1].

وقال ابن قتيبة: لم يكن المُهلَّبُ يُعاب بشيءٍ إلا بالكَذِب[2].

ذكر وفاته:

مات بخُراسان بمَرْوِ الرُّوذ، بقرية يقال لها: زاغول، غازياً في ذي الحجة هذه السنة، وله ست وسبعون سنة، ويقال: إن مَولده سنة فتح مكة، وقيل: مات سنة اثنتين وثمانين.

وقال المفضَّل بن محمد: سار المهلب من كِيش يريد مَرْو، فلما كان بزاغول أصابته الشَّوْصَة[3]، وقيل: الشَّوْكَة، فدعا حَبيباً ومَن حَضَر من وَلَده فأوصاهم، ودعا بسِهامٍ فحُزِمت، وذكر بمعنى ما تقدّم في الوصية، وقال: وإياكم والقطيعة فإنها توجب الذِلَّة، وتُورث القِلَّة، فتحابّوا وتواصلوا، ولا تختلفوا يجتمع لكم أمْرُكم، وإن بني الأم يختلفون فكيف ببني العَلّات؟ ولتكن أفعالكم أفضلَ من أقوالكم، واتّقوا زلَّة اللسان؛ فإن الرجل تزِلُّ قدمُه فيُنْعَشُ من زَلَّته، ويزلُّ لسانه فَيَهْلك، واصطنعوا العُرْفَ، وَفُوا بالمواعيد، وقد استخلفت يزيد، وجعلت حبيباً على الجُند حتى يَقدم بهم عليه.

ثم مات فصلى عليه حبيب، وكان يحبّ حَبيباً ويقول: هو سيّد أولادي[4].

ورثاه نَهار بن تَوْسِعة التَّميمي بقصائد منها: [من الكامل]

كـان الـمـهـلَّـبُ لـلـعـراق سَـكـيـنـةً وولـيَّ حـادِثِـهـا الـذي يُـسـتـنـكَـرُ[5]

إن يَـدْفِـنـوه فـإن مـثـلَ بَـلائـه فـي الـمـسـلـمـيـن وذِكْـرِه لا يُـقْـبَـرُ

كـان الـمـدافِـعَ دون بـيـضَـةِ مِـصْـرِه والـجـابـرَ الـعَـظْـمِ الـذي لا يُـجْـبَـرُ

---

(١) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٩ـ٤٥٠ ، وانظر ديوان زياد ٦٧ ، ١٢٠ وتخريجها فيه.

(٢) «المعارف» ٣٩٩ . وقد ردّ هذه التهمة ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣٠٢٤).

(٣) هي وَجَعٌ في البطن، ومن هنا وقع في (ب) سقط ينتهي في أول ترجمة قبيصة بن ذؤيب في أثناء سنة (٨٧هـ).

(٤) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٥٤ـ٣٥٥ .

(٥) في (د) و(خ): يستكثر، والمثبت موافق لتاريخ دمشق ١٧/ ٤٥٣ ، و«تهذيب الكمال» (٦٨٢٤).

وقال أيضاً : [من الطويل]

ألا ذهب الغَزْوُ المُقَرِّبُ للغِنى ... ومات النَّدى والجُودُ بعد المُهَلَّبِ
أقام بمَرْوِ الرُّوذِ وهو[١] ضَريحُهُ ... وقد غُيِّبَا[٢] من كلِّ شرقٍ ومَغْرِبِ
إذا قيل أيُّ الناسِ أولى بِنعمةٍ ... على الناس قلناه ولم نَتَهَيَّبِ
أباح لنا سَهْلَ البلاد وحَزْنَها ... بخَيْلٍ كأرْسالِ القَطا المُتَسَرِّبِ
يُعَرِّضُها للطَّعنِ حتى كأنّما ... يُجَلِّلُها بالأُرجُوانِ المُخَضَّبِ
تُطيفُ به قَحطانُ قد غَضِبَتْ له[٣] ... وأَحْلافُها من حيِّ بكرٍ وتَغلبِ
وحيًّا مَعَدٍّ عُوَّذٌ بلوائه ... يُفَدُّونه بالنَّفسِ والأُمِّ والأبِ

ذكر أولاده:

وُلد للمهلب عشرة أولاد: يزيد، وزياد، ومُدْرِك، وحبيب، والمغيرة، والمفضَّل، وقَبيصة، ومحمد، وهند، وفاطمة.

فأما يزيد وزياد ومدرك فإنهم وُلدوا في سنة واحدة، وأعمارهم واحدة، وعاش كل واحد منهم ثمانياً وأربعين سنة، وقتلوا في سنة اثنتين ومئة.

وأما المغيرة فمات بخراسان كما ذكرنا، وابنُه بشر بن المغيرة، ومن شعره في الحماسة : [من الطويل]

جَفاني الأميرُ والمغيرةُ قد جَفا ... وأمسى يزيد لي قد ازْوَرَّ جانبُهْ
وكلُّهمُ قد نال شِبْعاً لبطنهِ ... وشِبْعُ الفتى لُؤمٌ إذا جاع صاحبُهْ
فيا عَمُّ مَهْلاً واتَّخِذني لنَوْبَةٍ[٤] ... تُلِمُّ فإن الدَّهرَ جَمٌّ نوائبُهْ
أنا السيفُ إلا أن للسيف نَبْوَةً ... ومثليَ لا تَنْبو عليك مضارِبُهْ

أسند المهلب عن سَمُرة بن جُندب وغيره، وروى عنه أبو إسحاق الهَمْداني، وسِماك بن حرب وغيرهما.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٥٥ : أقاما . . . رَهْنَيْ، وفي «أمالي القالي» ٢/ ١٩٩ و«العقد الفريد» ٣/ ٢٩٨ : رهن.

(٢) في النسخ: يعدو به، والمثبت من المصادر.

(٣) في تاريخ الطبري ٦/ ٣٥٥ : عُصِّبَتْ به، وهو الأشبه.

(٤) في النسخ: لنبوة، والمثبت من ديوان الحماسة ١/ ٢٦٦ (بشرح المرزوقي).